الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
République Algérienne Démocratique et Populaire

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة أكلي محند أولحاج
- البويرة -
كلية الآداب واللغات

Ministère de l'Enseignement Supérieur
et de la Recherche Scientifique
Université Akli Mohand Oulhadj - Bouira -
ⵜⴰⵙⴷⴰⵡⵉⵜ ⴰⴽⵍⵉ ⵎⵓⵃⴻⵏⴷ ⵓⵍⵃⴰⵊ - ⵜⵓⴱⵉⵔⴻⵜ -
Faculté des Lettres et des Langues

جامعة البويرة

قسم اللغة والأدب العربي

التخصص: أدب عربي حديث ومعاصر

بنية الزمن في رواية " أنا و حاييم "
الحبيب السائح

مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماستر

إعداد الطالبتين:

حورية شيخي

سامية كرناني

إشراف الأستاذ:

د/ محمد بوتالي

السنة الجامعية: 2019- 2020

إهداء

بسم الله الذي هدانا لنور الإسلام وسخر لنا العقل لطلب العلم .

أهدي هذا العمل المتواضع إلى:

قرة عيني "أبي وأمي" اللذين أنارا لي دربي في هذه الحياة حفظهما الله وأطال في عمرهما

إلى أخي وفقه الله ورعاه.

إلى رفيقتي وشريكتي في هذا البحث المتواضع سامية

إلى الذين أحبوني وأحببتهم .

حورية

إهداء

إلى من قدمت لي الحب فعرفت معناه الحقيقي، إلى من لم تبخل على بأي جهد حتى تراني سعيدة، إلى من ظلت طوال حياتها تفضل راحتي عن راحتها ..

إلى ملاكي في الحياة، إلى معنى الحب والحنان والتفاني..أمي الحبية ..يا من أضاء نورها حياتي.. يا من فاح عطرها في دنيتي فملأها بعبيره الرائع.. أنت لست أمي وفقط بل أنت لي الدنيا وما فيها..وأنك كنت ومازلتي وستظلين الأغلى في حياتي..إذا كنت نجحت في حياتي فبسبب وجودك فيها، يا أجمل نعمة من الله .

والى كل من مد لي يد العون من قريب أو من بعيد أهدي لهم هذا العمل .

سامية

مقدمة

يعد الخطاب الروائي من أكثر النصوص الأدبية السردية استحضارا للمعالم التاريخية، وللمظاهر الاجتماعية وللأنساق الفكرية الإيديولوجية، تقدم للقارئ وفق رسالة فكرية أدبية تعتمد التشكيل السردي الفني المبني على عناصر متباينة، من بناء لغوي وزمني ومكاني، هدفها ضمان مقروئيتها وخلق متعة جمالية لمتلقيها .

كل هذه الاعتبارات وغيرها جعلت النص الروائي يتميز عن باقي الأجناس الأدبية الأخرى، كونه يرتبط أشد الارتباط بالحياة المجتمعية، هذا ما يخلق له إمكانية تصوير الواقع الكائن والواقع الممكن ضمن السيرورة التاريخية للمجتمع، لهذه الأهمية حظي النص الروائي بمكانه هامة ضمن الحركة الأدبية المعاصرة .

على هذا الأساس كان اختيارنا لهذا الجنس السردي وتحديدا الرواية الجزائرية .

أما الأسباب التي قادتنا إلى اختيار هذا الموضوع هو كون الزمن من أهم العناصر الروائية التي تشكل منها معمارية الفن الروائي، أما فيما يتعلق برواية "أنا وحاييم" فيعود سبب الاختيار إعجابنا برؤيا الكاتب "الحبيب السائح" في روايته كعمل أدبي متفرد شديد التميز مختلف عما سبقه من أعمال تناولت ذات الفترة من تاريخ الجزائر الحديث .

وكون أن الرواية آخر إنتاج الروائي مع قلة اتخاذها كمدونة للدراسة، فهي جديدة في الساحة الأدبية، وصلت إلى القائمة الطويلة لجائزة البوكر العربية للرواية العالمية والفائزة بجائزة "كتارا للرواية العربية 2019" .

فجاءت دراستنا الموسومة ب: بنية الزمن في رواية أنا وحاييم للحبيب السائح، محاولة للوقوف على عنصر الزمن الروائي وأهم تقنياته المتحكمة في تمظهره، وسرعته. وقد كان ذلك بالإجابة على مجموعة من الأسئلة متمثلة في:

* كيف تتجلى بنية الزمن داخل الخطاب الروائي ؟

* كيف تعامل الروائي مع المفارقات الزمنية؟ وما هي وظيفة هذه الأخيرة داخل الرواية ؟

* ما هي التقنيات التي وظفها الروائي لتبطئة السرد، وتسريعه؟ وما مدى استيعاب الرواية لهذا التقنيات ؟ وللإجابة عن هذه التساؤلات توجب علينا إتباع خطة، تكونت من مقدمة وتمهيد، وفصلين وخاتمة

درسنا في التمهيد زمن الخطاب السردي عند كل من " توما شفسكي" و"تزفيطان تودوروف" و"جيرار جنيت" أما في الفصل الأول فتناولنا فيه الزمن من منظور جيرار جنيت وفق ثلاث مباحث:

في المبحث الأول عرفنا الترتيب الزمني وتطرقنا إلى عناصره في كل من (الاسترجاع والاستباق).

أما المبحث الثاني فعرفنا: المدة الزمنية وحركات السرد (كالمشهد والوقفة، الحذف، الخلاصة).

وفي البحث الثالث درسنا: مفهوم التواتر بأنواعه الثلاثة وهي: (الإنفرادي، التكراري، التأليفي).

وجاء الفصل الثاني كتطبيق للفصل الأول النظري وذلك بالكشف عن آليات اشتغال الزمن في الرواية وقد ختمنا بحثنا بجملة من النتائج المستخلصة، كما خصصنا له ملحقا ووضعنا قائمة للمصادر والمراجع وأيضا فهرسا للموضوعات. واعتمدنا في دراستنا لبنية الزمن على المنهج البنيوي لجيرار جنيت، واستعنا بمجموعة من الكتب نذكر منها:

- جيرار جنيت، خطاب الحكاية .

- سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي .

- سيزا قاسم، بناء الرواية .

- عمر عيلان في مناهج تحليل الخطاب السردي.

وفي الحقيقة أن الباحث مهما كان مستواه والبحث مهما كانت درجته ونوعيته فلا يخلو من الصعوبات التي تعترضه في انجازه، فقد واجهتنا صعوبة الحصول على الرواية، وعدم حصولنا على أهم المراجع التي تخدم البحث، وكذلك دقة موضوع بحثنا الذي احتاج الكثير من الوقت والتركيز .

وفي الأخير نشكر الله عز وجل على إتمام هذا البحث المتواضع، وكما نتقدم بجزيل الشكر للأستاذ المشرف "محمد بوتالي" على قبوله الإشراف على هذا العمل وعلى ملاحظاته القيمة وتوجيهه لنا، والى كل من ساهم في انجاز هذا البحث .

تمهيد

يعود الفضل في بلورة المفاهيم الزمنية للعملية السردية إلى الشكلا يبين الروس Formalistes Ruses (1915-1930).

حيث اكتسب مقولة الزمن في المقاربة الشكلانية أهمية متميزة وقد تحدثوا عن طريقتين لعرض الأحداث في العمل الروائي:" فإما أن يخضع لمبدأ السببية فيراعي نظاما زمنيا معينا، وإما أن يعرض دون اعتبار زمني، أي في شكل تتابع لا يراعي أية سببية داخلية"[1]

وأقيمت دراسات رائدة في هذا المجال، فتحت أفاقا جديدة للتحليلات السردية المعاصرة .

ويعتر الشكلاني الروسي توما شفسكي من أبرز الشكلانيين الدين اهتموا بمسألة الزمن في الحكي ففي دراسة لهذه المسألة ميز بين عنصرين أساسين للعمل السردي هما: المتن الحكائي (Fable)، والمبني الحكائي (Sujet)، ويقصد بالمتن الحكائي: "مجموعة الأحداث المتصلة فيما بينها، والتي يقع إخبارنا بها خلال العمل"[2] أما المبنى الحكائي "فنجد فيه الأحداث نفسها، ويراعي نظام ظهورها في العمل، كما يراعي ما يتبعها من معلومات تعينها لنا"[3].

فإذا كان المتن يتشكل من الأحداث المتتابعة، فإن المبنى يتشكل من طبيعة تتابع هذه الأحداث .

وقد اهتم البنيويون الفرنسيون بهذه المسألة، فقد ميز تزفيطان تود وروف T.Todorov بين القصة Histoire والخطاب Discour .

---

[1] نظرية المنهج الشكلي (نصوص الشكلا نيين الروس)، تر: إبراهيم الخطيب، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، ط1، 1982، ص 179.

[2] المرجع نفسه، ص 180.

[3] المرجع نفسه، ص 180.

فالعمل الأدبي عنده يخضع لهذين المظهرين:" فهو قصة خطاب في الوقت نفسه. بمعنى أنه يثير في الذهن واقعا ما وأحداثا قد تكون وقعت وشخصيات روائية تختلط من هذه الوجهة بشخصيات الحياة الفعلية (...) غير أن العمل الأدبي خطاب في الوقت نفسه، فهناك سارد يحكي القصة، أمامه يوجد قارئ يدركها"[1].

ويلاحظ تودوروف أن التعارض بين زمن القصة وزمن الخطاب قائم باستمرار "فزمن الخطاب بمعنى من المعني زمن خطي، في حين أن زمن القصة هو زمن متعدد الأبعاد"[2] وذلك من خلال قيام زمن الخطاب على التحريف الزمني Déformation temporelle الذي رأى فيه الشكلا نيين الروس من قبل "الميزة الوحيدة للخطاب التي تفرده عن القصة"[3].

وأضاف تودوروف "زمنان ينتميان إلى مستوى مختلف، يصبحان عنصرين أدبيين منذ لحظة إدخالهما في القصة وهما: زمن التلفظ (الكتابة)، وزمن الإدراك (القراءة).[4]

باعتبارهما يتفاعلان بصورة أو بأخرى من خلال التواصل مع السردي.

ويتحدث جيرار جنيت Gerard Genette عن مكونات ثلاثة لكل عمل سردي ولتحاشي الخلط والاضطرابات اللغوية قام جنيت بتحديد مفاهيم خاصة لكل منها، ومنه يسهل التفريق بينها: "فأطلق اسم القصة Histoire على المدلول أو المضمون السردي، واسم الحكاية Récit بمعناها الحصري

[1] تزفيطان تودوروف وآخرون، طرائق تحليل السرد الأدبي (مقولات السرد الأدبي)، تر: الحسين و فؤاد صفا، منشورات اتحاد كتاب المغربي، الرباط، ط1، 1992، ص41.

[2] المرجع نفسه، ص 55.

[3] المرجع نفسه، ص 55.

[4] المرجع نفسه، ص 57.

على الدال أو المنطوق أو الخطاب أو النص السردي نفسه، واسم السرد Narration على الفعل السردي المنتج، وبصورة أوسع مجموع الوضع الحقيقي أو التخييلي الذي يحدث فيه ذلك الفعل"[1].

القصة هي مجموع الوقائع المحكية، أما الحكاية فهي كل خطاب شفوي أو مكتوب يحكي هذه الوقائع، أما السرد، فهو الفعل الحقيقي أو المتخيل الذي ينتج هذا الخطاب . إن تحليل الخطاب السردي في نظر جيرار جنيت هو أساسا دراسة العلاقات القائمة بين ثلاثة مصطلحات أساسية (القصة، الخطاب، السرد).

ولتجسيد هذه النظرة المنهجية، يلجأ جنيت إلى تبني التقسيم الذي اقترحه تودوروف عام 1966 وذلك بتصنيف مسائل الحكاية إلى ثلاث مقولات هي:

"مقولة الزمن، التي يعبر فيها عن العلاقة بين زمن القصة وزمن الخطاب . ومقولة الجهة، أو الكيفية التي يدرك بها السارد القصة، ومقولة الصيغة أي نمط الخطاب الذي يستعمله السارد."[2]

وأعاد جنيت صياغة هذا التقسيم، ليصبح مجال البحث موزعا على ثلاث مقولات هي: الزمن والصيغة والصوت ."فالزمن والصيغة يشتغلان كلاهما على مستوى العلاقات بين القصة والحكاية، بينما يدل الصوت في آن واحد على العلاقات بين السرد والحكاية وبين السرد والقصة"[3].

[1] جيرار جنيت، خطاب الحكاية (بحث في المنهج)، تر: محمد معتصم وعبد الجليل الأزدي وعمر حلى، المجلس الأعلى للثقافة، ط2، 1997، ص38-39.

[2] المرجع نفسه، ص 40.

[3] المرجع نفسه، ص42.

ويميز جنيت أن في كل رواية ثنائية زمنية في قوله:"فهناك زمن الشيء المروي وزمن الحكاية (زمن المدلول وزمن الدال)، و هذه الثنائية لا تجعل الإلتواءات الزمنية كلها ممكنة فحسب، بل الأهم أنها تدعونا إلى ملاحظة أن إحدى وظائف الحكاية هي إدغام زمن في زمن أخر".[1]

[1] جيرار جنيت، خطاب الحكاية، ص 45.

الفصل الأول: الزمن من مظور جيرار حنيت .

المبحث الأول: الترتيب الزمني (المفرقات الزمنية)

المبحث الثاني: المدة

المبحث الثالث: التواتر

المبحث الأول: الترتيب الزمني (المفارقات الزمنية)

إن أي عمل حكائي مهما كان نوعه ينبني على الزمن باعتباره هيكلا تقوم عليه أجزاء هذا العمل طويلا كان أم قصيرا. وهذا البناء يستوجب تواجد زمنين اثنين هما: زمن القصة وزمن الخطاب، بمعنى أن دراسة الترتيب الزمني في القصة "يستلزم مراقبة وتنظيم الأحداث وترتيبها زمنيا من أجل المقارنة بين تدرج الأحداث في الزمن الطبيعي (زمن الحكاية الأصلي) وتدرجها الفني (زمن القصة المروية)"[1] ."وترتيب سرد الأحداث في الرواية و أولوية ذكرها هو جزاء أساسي من تشكيل الرواية تشكيلا فنيا، وهو يعتمد أساسا على مهارة الكاتب وإتقانه لحرفته"[2].

لأن الترتيب الزمني يختلف بين الواقع والرواية أي عدم التطابق بين نظام السرد ونظام الرواية.

ويتجلى الترتيب الزمني عند **"جيرار جنيت"** في "تلك الصلات بين الترتيب الزمني لتتابع الأحداث في القصة، والترتيب الزمني الكاذب لتنظيمها في الحكاية"[3]. سواء كان هذا التنظيم مصرحا به في القصة نفسها أو كان ترتيبا مفترضا يقام على أساس قرائن غير مباشرة يتم استنتاجها و استخراجها .

وفي هذا الشأن نجد حميد لحمداني يرى أنه "ليس من الضروري – من وجهة البنائية –

أن يتطابق تتابع الأحداث في رواية ما، أو في قصة، مع الترتيب الطبيعي لأحداثها– كما يفترض أنها جرت بالفعل–"[4] فزمن القصة يخضع بالضرورة للتتابع المنطقي للأحداث، في حين أن زمن

---

[1] لطيف زيتوني، معجم مصطلحات نقد الرواية، دار النهار للنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2002،ص 56.

[2] سيزا قاسم، بناء الرواية، دراسة مقارنة في "ثلاثية" نجيب محفوظ مكتبة الأسرة، 2004، ص 43.

[3] جيرار جنيت، خطاب الحكاية، ص 46.

[4] حميد لحمداني، بنية النص السردي (من منظور النقد الأدبي)، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1991، ص 73.

السرد ليس مقيدا بهذا التتابع المنطقي فالتطابق بين زمن الخطاب وزمن القصة المسرودة يرى الحمداني أن لا وجود له إلا في بعض الحكايات العجيبة القصيرة، على شرط أن تكون أحداثها متتابعة وليست متداخلة ومن هنا يفرق بين زمنين:

- زمن القصة Histoire

- زمن الخطاب Discours [1]

ويمكن التمثيل لهما بالشكل التالي:

زمن القصة: أ ← ب ← ج ← د

زمن الخطاب: ج ← د ← ب ← أ

من هنا يحدث ما يسمى مفارقة زمن الخطاب مع زمن القصة ويمكن توضيح هذه المفارقة بالرسم البياني :

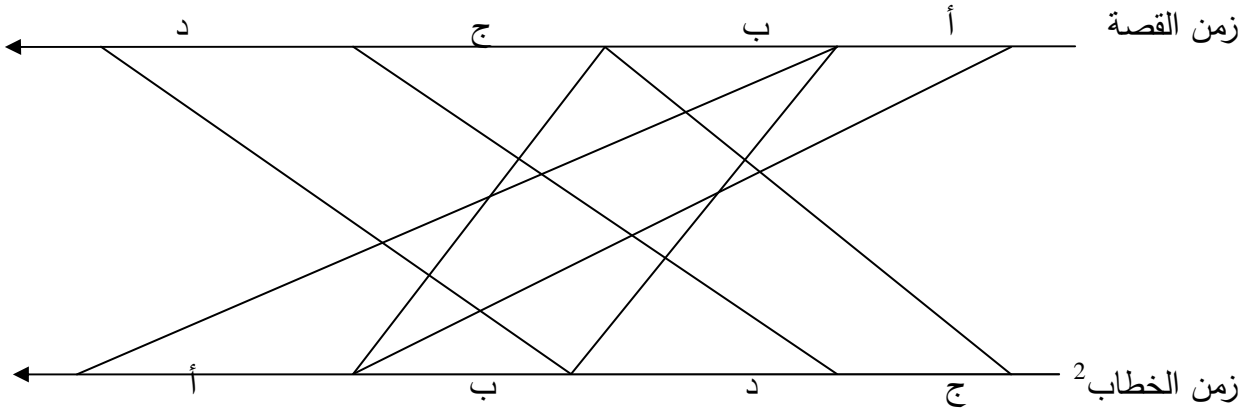

[1] حميد لحمداني، بنية النص السردي، ص73.

[2] المرجع نفسه، ص73-74.

ويسمي جيرار جنيت هذه المفارقة الزمنية الحاصلة بين هذين الزمنين "مختلف أشكال التنافر بين ترتيب القصة وترتب الحكاية"[1]، أي مختلف التداخلات التي تحدث في ترتيب الزمن والتي تنهض بتحطيم خطية الزمن، فتبرز المفارقة الزمنية من خلالها في النص السردي. والراوي يولد مفارقات زمنية من خلال تلاعبه بالنظام الزمنية، وما يدل على هذا قول جيرار جنيت: "يمكن للمفارقة الزمنية أن تذهب في الماضي أو في المستقبل بعيدا كثيرا أو قليلا عن اللحظة الحاضرة، أي لحظة القصة التي تتوقف فيها الحكاية لتخلي المكان للمفارقة الزمنية نسمي هذه المسافة الزمنية مدى المفارقة الزمنية، ويمكن المفارقة الزمنية نقسمها أن تشمل أيضا مدة قصصية طويلة كثيرا أو قليلا وهذا ما نسميه سعتها"[2].

وفي هذا الصدد يقول جيرالد برنس:"إن للمفارقة "تسعة" (Amplitude–extent)، تغطي جزءا معينا من زمن القصة، و"مدى" (Reach) يكون زمن القصة التي يغطيها على مسافة زمنية محددة من لحظة الحاضر"[3].

بمعني أن المدى هو تلك المسافة الزمنية التي تستغرقها أثناء العودة إلى الماضي أو الاستباق إلى الأمام، أما السعة هي المسافة أو الحيز المكاني الذي تحتله المفارقة على خطته الكتابة .

[1] جيرار جنيت، خطاب الحكاية، ص47.

[2] المرجع نفسه، ص59.

[3] جيرالد برنس، قاموس السرديات، ترجمة السيد إمام، مريت النشر والمعومات، القاهرة، ط1، 2003، ص15.

يمكننا أن نوضح شكل التنافر الزمني من خلال ترتيب الأحداث في النص القصصي بالشكل التالي:[1]

خط الزمني الماضي الحاضر المستقبل

النص حاضر/ ماض/ مستقبل/ حاضر/ مستقبل/ ماض/ ماض

فما نلاحظه هنا هو الاختلاف الواضح بين خط الزمن وخط النص .

فخط النص يتميز بالارتداد والرجوع إلى الماضي للبحث عن الذاكرة ثم العودة إلى الحاضر لمتابعة ما انقطع من حديث وكذا القفز إلى المستقبل. "وما يقابله في أصل بناء أي زمن سردي أن ينهض امتداده على الطولية المألوفة بحيث ينطلق من الماضي إلى الحاضر، وثم من الحاضر إلى المستقبل"[2].

وعلى هذا الأساس "يمكن أن تشمل الرواية الواحدة مجموعة من الحكايات يحيل بعضها على بعض، وينطلق بعضها من بعض، فتتداخل الأزمنة مع تداخل السرد"[3]. وهذا ما تتطلبه مقتضيات السرد.

[1] سيزا قاسم، بناء الرواية، ص42.

[2] عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية (بحث في تقنيات السرد)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ط1، 1998، ص 190.

[3] المرجع نفسه، ص192.

إذن للمفارقة الزمنية أسلوبان:"الأول يسير باتجاه خط الزمن أي حالة سبق الأحداث، أما الثاني فهو يسير في الاتجاه المعاكس، أي حالة الرجوع إلى الوراء وذلك قياسا بالنقطة التي يلغها السرد، ويصطلح على هذين الأسلوبين ب: الاسترجاع (Analépse)، الاستباق (Proplépse)"[1].

أولا: الاسترجاع: وظائفه وأنواعه

إن لكل أزمنة أو زمن يحركها، الماضي، الحاضر والمستقبل، وهذه الأزمنة لا يمكن اكتشافها إلا من خلال سياق النص، ويستعمل الاسترجاع ليروي للقارئ فيما بعد ما قد وقع من قبل، فهو من أكثر التقنيات الزمنية السردية حضورا في النص الروائي، فهو ذاكرته ومن خلاله يتحايل الروائي على تسلسل الزمن السردي إذا ينقطع زمن السرد الحاضر ويستدعى الماضي موظفا اياه في الحاضر السردي، فيصبح جزءا لا يتجزأ من نسيجه.

"وإذن فإن كل عودة للماضي تشكل بالنسبة للسرد، استذكار يقوم به لماضيه الخاص، ويحيلنا من خلاله على أحداث سابقة عن النقطة التي وصلتها القصة. ومن بين الأنواع الأدبية المختلفة تميل الرواية أكثر من غيرها إلى الاحتفال بالماضي واستدعائه لتوظيفه بنائيا عن طريق استعمال الاستذكارات التي تأتي دائما لتلبية بواعث جمالية وفنية خالصة في النص الروائي"[2].

ويعرفه لطيف زيتوني أنه كل "مخالفة لسير السرد تقوم على عودة الراوي الى حدث سابق، وهو عكس الاستباق، وهذه المخالفة لخط الزمن تولد داخل الرواية نوعا من الحكاية الثانوية. ولا

[1] عمر عاشور، البنية السردية عند الطيب صالح، البنية الزمنية والمكانية في موسم الهجرة إلى الشمال، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر ،2010، ص 17.

[2] حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، (الفضاء– الزمن– الشخصية)، المركز الثقافي العربي، بيروت،ط1، 1990،ص 121.

شيء يمنع أن تتضمن الحكاية الثانوية بدورها استرجاعا أي حكاية فرعية داخل الحكاية الثانوية. يمكن أن يكون الاسترجاع موضوعيا Objective (مؤكدا) أو ذاتيا Subjective (غير مؤكد)[1].

ويوضح جيرار جنيت بأن "كل استرجاع يشكل بالنسبة إلى الحكاية التي يندرج فيها أو التي يضاف إليها حكاية ثانية زمنيا تكون تابعة للحكاية الأولى"[2].

ولهذه التقنية الزمانية وظائف بنيوية متعددة، ومن أكثر هذه الوظائف أهمية في نظر جنيت "أنها تأتي لملء الثغرات التي تحدث نتيجة التنافر الشديد بين زمن القصة و زمن الخطاب، بإعطاء سوابق شخصية جديدة تم إدخالها في النص، أو شخصية غابت عن الأنظار برهة من الوقت ثم عادت مرة ثانية إلى مسرح الأحداث"[3].

من الوظائف الأخرى للاسترجاعات "العودة إلى أحداث سبقت إثارتها برسم التكرار الذي يقيد التكرار، أو حتى لتغيير دلالة بعض الأحداث الماضية سواء بإعطاء دلالة لما لم تكن له دلالة أصلا أو لسحب تأويل سابق واستبداله بتفسير جديد".[4]

بذلك يكون لوظائف هذه التقنية دور كبير في إزالة الالتباس وتدارك صعوبة الانسجام بين المقاطع السردية في النص، بسبب عدم وجود التوافق بين ترتيب الأحداث في القصة وترتبها على مستوى البناء السردي.

---

[1] لطيف زيتوني، معجم مصطلحات نقد الرواية، ص18.

[2] جيرار جنيت، خطاب الحكاية، ص60.

[3] المرجع نفسه ، ص 61.

[4] حسين نحراوي، بنية الشكل الروائي، ص 122.

1- أنواع الاسترجاع:

للاسترجاع عدة أنواع تلعب دورا فعالا في بناء العمل الروائي، ومن أبزر الأنواع التي ميز بينها جيرار جنيت نذكر نوعين من الاسترجاع هما: الاسترجاع الداخلي والاسترجاع الخارجي .

1-1- الاسترجاع الداخلي: Analepse Interene

هذا النمط من الاسترجاع يتيح للروائي فرصة إعادة أحداث لها صلة مباشرة بالقصة الرئيسية، وبشخصياتها المركزية لمسارها الزمني. "فهو الذي يستعيد أحداثا وقعت ضمن زمن الحكاية أي بعد بدايتها، وهو الصيغة المضادة للاسترجاع الخارجي.[1]

وقد أوضح جنيت بأن الاسترجاعات الداخلية هي "تلك التي تتناول خطا قصصيا مختلفا عن مضمون عن مضمون الحكاية الأولى، وهي تتناول إما شخصية يتم إدخالها حديثا ويريد السارد إضاءة سوابقها أو شخصية غابت عن الأنظار منذ بعض الوقت ويجب استعاده ماضيها قريب العهد، ولعل هاتين هما وظيفتا الاسترجاع الأكثر تقليدية"[2].

ويؤكد جنيت كثيرا على أهمية وحساسية الاسترجاع الداخلي وذلك: "لما يصيغه من غموض وتداخل بين هيكل الحكاية الأساسي والعناصر الحكائية الشاردة الملتصقة به"[3].

ومن خلال ما قاله جيرار جنيت حول الاسترجاع الداخلي يتضح لنا أكثر أنه عودة إلى زمن ماضي، لكن نقطة الرجوع فيها تكون داخل القصة الأولية، وبمعني أخر يمكن القول أن هذه

[1] لطيف زيتوني، معجم مصطلحات نقد الرواية، ص20.

[2] جيرار جنيت، خطاب الحكاية، ص61.

[3] عمر عيلان، في مناهج تحليل الخطاب السردي، منشورات اتخاذ الكتاب العرب، دمشق، 2008، ص131.

الاسرجاعات يكون الارتداد فيها إلى نقطة مضت وتجاوزها السرد، ولكنها واقعة داخل الحكاية الأولية.

1-2- الاسترجاع الخارجي Analepse Externe :

عرفه لطيف زيتوني أنه: "ذاك الذي يستعيد أحداثا تعود إلى ما قبل بداتة الحكاية"[1].

كما يرى جنيت أنه:"يمكننا أن ننعت بالخارجي ذلك الاسترجاع الذي تظل سعته كلها خارج سعة الحكاية الأولى"[2]. فالاسترجاعات الخارجية "تتصل أساسا بالمدى والسعة،...لا تربطها أية علاقة بالحكاية الأولى من حيث تسلسل وقائعها الداخلية"[3]. أي أن لها علاقة بالمدى والسعه، ولا صلة لها بالحكاية الأولية.

يمثل الاسترجاع الخارجي:"الوقائع الماضية التي حدثت قبل بدء الحاضر السردي حيث يستدعيها الراوي أثناء السرد، وتعد زمنيا خارج الحقل الزمني للأحداث السردية الحاضرة في الرواية، ويرتبط هذا الاسترجاع بعلاقة عكسية مع الزمن في الرواية الحديثة نتيجة لتكثيف الزمن السردي فكلما ضاق الزمن الروائي شغل الاسترجاع الخارجي حيزا كبيرا"[4].

في حين يقل في الرواية الواقعية ذات التسلسل الزمني الممتد لفترة طويلة بأحداثها المتتالية من الماضي ثم الحاضر والمستقبل.

[1] لطيف زيتوني، معجم مصطلحات نقد الرواية، ص19.

[2] جيرار جنيت، مرجع سابق، ص 60.

[3] عمر عيلان، مرجع سابق، ص 132.

[4] مها حسين القصراوي، الزمن في الرواية العربية المعاصرة، دار فارس للنشر والتوزيع، ط1، 2004، ص195.

ويعد الاسترجاع الخارجي "هو الأكثر شيوعا في الرواية العربية الحديثة، لأن لجوء الرروائي إلى تضييق الزمن السردي وحصره دفعه إلى تجاوز هذا الحصر الزمني، بالانفتاح على اتجاهات زمنية حكاية ماضية، تلعب دورا أساسيا في استكمال صورة الشخصية والحدث وفهم مسارها"[1].

ومنه يمكن اعتبار الاسترجاع بشقيه الداخلي والخارجي بمثابة تقنية تتيح للمتلقي فرصة لاستيعاب أكثر لأحداث الرواية، ولاكتمال ملامح بعض الشخوص الروائية التي كانت مبهمة في ذهنه.

ثانيا: الاستباق: وظائفه وأنواعه

الاستباق أو الاستشراف، هو الشكل الثاني من المفارقة الزمنية التي تبتعد بالسرد عن مجراه ويعرف هذا الشكل بأنه:" مخالفة لسير السرد تقوم على تجاوز حاضر الحكاية وذكر حدث لم يحن وقته بعد"[2].

وتعرف جيرار جنيت، هذا الشكل بأنه:"حركة سردية تقوم على أن يروى حدث لاحق أو يذكر مقدما"[3]. فالمبدأ الجوهري لهذه التقنية هنا هو استجلاب الأحداث قبل الأوان.

وقد عرفه أيضا سعيد يقطين، بقوله: "حكي شيئ قبل وقوعه"[4] ويعني أن يقول شيء قبل أن يقع، أي يستبق إلى قوله .

والاستباق عند جيرار برنس: "مفارقة تتجه نحو المستقبل بالنسبة إلى اللحظة الراهنة (تفارق الحاضر إلى المستقبل)، إلماح إلى واقعة أو أكثر ستحدث بعد اللحظة الراهنة (أو اللحظة التي

[1] مها حسن القصراوي،الزمن في الرواية العربية المعاصرة ، ص 195.

[2] لطيف زيتوني، معجم مصطلحات نقد الرواية، ص 15.

[3] جيرار حنيت، خطاب الحكاية، ص 57.

[4] سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي (الزمن، السرد، التئير)، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط03، 1997، ص 77.

يحدث فيها توقف للقص الزمني، ليفسح مكانا للاستباق)، توقف، لقطة مستقبلية، منظور مستقبلي"[1].

وتجدر الإشارة إلى أن الاستباق:"تقنية زمنية تجيء –عادة– في بنية الرواية التقليدية، على وجه الخصوص، وتؤدي إلى قتل عنصري التشويق والمفاجأة الفنيين، لدي القارئ، حين يعلن الراوي التقليدي عن الأحداث اللاحقة قبل وقوعها، في حين أن التوقع الذي ليس بالضرورة أن يتحقق كله أو بعضه يحافظ على بقائها في مثل هذه الرواية الحديثة – إلى حد كبير –"[2].

وللاستباق كذلك وظائف متعددة لها دور في تشكيل العمل الروائي أهمها:

– ملء الفجوات الحكائية التي سيخلفها السرد لاحقا، أو اخبار عن معلومات تفيد موضوع السرد، وهذا ما يخلق حال انتظار لدى القارئ.

– تعمل الاستباقات الأولية في النص بمثابة تمهيد وتوطئة لما سيأتي من أحداث رئيسية وهامة، وبالتالي تخلق لدى القارئ حالة توقع وتنبؤ بمستقبل الحدث والشخصية .

– تكون الاستباقات بمثابة إعلان عن حدث ما، أو إشارة صريحة انتهى إليها الحدث، فيكشفها الراوي للقارئ .

[1] جيرار برنس، المصطلح السردي (معجم مصطلحات)، ت: عايد خزندار، المجلس الأعلى للثقافة، ط1، 2003، ص186.

[2] آمنة يوسف، تقنيات السرد في النظرية والتطبيق، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط2، 2015، ص 120–121.

– وتعد مشاركة القارئ في النص أبرز وظائف الاستباق، إذا يوجه انتباهه لمتابعة تطور الشخصية والحدث من خلال هذا الاستباق، كما يساهم في بناء النص من خلال التأويلات والإجابة عن تساؤلات يطرحها"[1].

والاستباق من حيث الدور والوظيفة في السرد نوعان ، هما:

1- الاستباق التمهيدي: Amorce

يعد الاستباق التمهيدي "بمثابة التوطئة لما سيجري من أحداث، وذلك بطريقة إيمائية ضمنية، بعيدة المباشرة الصريحة، وتتجلى في إشارات وايحاءات أولية يكشف عنها الراوي ليمهد لحدث سيأتي لاحقا"[2]. وتعد الرواية بضمير المتكلم هي الأنسب في الاستباقات التمهيدية، كونها تتيح للرواية الفرصة بالتلميح إلى الآتي، وهو يعلم ما وقع قبل وبعد.

وإلى جانب هذا فإن الاستباق التمهيدي يشكله الراوي بصورة تدريجية حيث يبدأ بحدث استباقي تمهيدي، ثم يتطور ويكبر، لينتهي بحدث رئيسي لاحق"[3]، كما أن هذا النوع قد يتخذ أحيانا حلم كاشف للغيب، أو شكل تنبؤ أو افتراضات صحيحة نوعا ما بشأن المستقبل.

2- الاستباق الإعلاني: Anonce

فإذا كان الاستباق التمهيدي يعتمد على الطريقة الإيحائية الإيمائية في التمهيد لوقوع الحدث لاحقا، فإن الاستباق الإعلاني يتخذ طريقا أخر للكشف عن هذا الحدث، بحيث "يخبر بصراحة

[1] حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، ص 137.
[2] مها حسن القصراوي، الزمن في الرواية العربية، ص 211.
[3] المرجع نفسه، ص 213.

عن سلسلة الأحداث التي يشهدها السرد في وقت لاحق، ونقول "صراحة" لأنه إذا أخبر عن ذلك بطرية ضمنية يتحول توا إلى استشراف تمهيدي"[1].

وهذا النوع من الاستباق كذلك حتمي الحدوث لاحقا، إذ يعلن الراوي الحدث النهائي بعد إتمامه، ويضع القارئ وجها لوجه معه ليبدأ التساؤل لماذا حدث وكيف حدث؟[2].

ويشير جيرار جنيت إلى أن الإعلان قد يتخذ طابعا ايجابيا غير مصرح به، وهذا ما يدعوه Amorce أي بداءة، وهو إعلان نحس به على أنه كذلك لأن السارد يلمح إلى شخصية أو موقف أو حادثة دون أن يقول بأنها ستكون مستقبلا ذات أثر، أو أنها ستغير مجرى الأحداث، فالإعلانات من هذا النوع تتعلق بفن التهيؤ الكلاسيكي تماما، كأن تظهر منذ البداية شخصية لن تتدخل إلا بعد ذلك بكثير"[3].

فالاستباق بصفة عامة إذا هو بمثابة استشراف للزمن، وتطلع لما هو آت، لذا فقد يتحقق وقد لا يتحقق، أي أنه تقديرات نسبية ليس هناك ما يؤكد حصولها، يظهر الروائي بواسطتها تطلعات وأحلام الشخصيات، تحضر القارئ من خلالها لأحداث آتية.

[1] حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، ص 137.

[2] مها حسن القصراوي، الزمن في الرواية العربية، ص 211.

[3] عمر عيلان، في مناهج تحليل الخطاب السردي، ص 135.

المبحث الثاني: المدة

أولا: تسريع السرد

تلجأ الرواية بصفة عامة إلى تسريع السرد للتخلص من تفاصيل زائدة لا يمثل وجودها حضورا فاعلا يخدم بنية النص ومن التقنيات السردية التي تمكن من تسريع السرد: الخلاصة (Sommaire) ، الحذف (l'ellipse) .

1- **الخلاصة (Sommaire)**:

وتسمي أيضا المجمل، "وتعتمد الخلاصة في الحكي على سرد أحداث ووقائع يفترض أنها جرت في سنوات أو أشهر أو ساعات، واختزالها في صفحات أو أسطر أو كلمات قليلة دون التعرض للتفاصيل"[1].

يعني ذلك تلخيص ما حدث في سنوات وأشهر في بضعة أسطر أو فقرات قليلة دون تفصيل للأفعال والأقوال وللتلخيص عند الواقعيين وظائف عدة يؤديها السرد وهي بحسب سيزا قاسم:

1- المرور السريع على فترات زمنية طويلة.

2- تقديم عام للمشاهد والربط بينها .

3- تقديم عام لشخصية جديدة .

4- عرض الشخصيات الثانوية التي لا يتسع النص لمعالجتها معالجة تفصيلية .

5- الإشارة السريعة إلى الثغرات الزمنية وما وقع فيها من أحداث .

[1] حميد لحمداني، بنية النص السردي، ص 76.

6- تقديم الاسترجاع.[1]

2- الحذف (l'ellipse):

ويسمى أيضا بالثغرة أو الإسقاط أو الإضمار أو القطع، والحذف هو أعلى درجات تسريع النص السردي حيث "يلتجئ الروائيون التقليديون في كثير من الأحيان إلى تجاوز بعض المراحل من القصة دون الإشارة بشيء إليها، ويكتفي عادة بالقول مثلا "ومرت سنتان" أو "وانقضى زمن طويل فعاد البطل من غيبته"...الخ ويسمي هذا قطعا. ويتضح في هذين المثالين بالذات أن القطع إما أن يكون محددا أو غير محدد"[2].

هو القفز على مدة زمنية ممتدة أو قصيرة دون إعطاء تفاصيلها وسرد ما وقع فيها من أحداث.

ويقسم جنيت الحذف إلى ثلاثة أقسام هي:

2-1- الحذف الصريح (Escplicite):

وهو الحذف الذي يجد إشارات دالة عليه في ثنايا النص، كأن نقول: بعد عشر سنوات، خلال أسبوع...الخ والحذوف الصريحة "تصدر إما عن إشارة محددة أو غير محددة إلى ردح الزمن الذي تحذفه"[3]. معنى ذلك أن يصرح الراوي بحجم المدة المحذوفة.

[1] سيزا قاسم، بناء الرواية، ص 82.

[2] حميد لحمداني، بنية النص السردي، ص 77.

[3] جيرار جنيت، خطاب الحكاية، ص 117.

2-2- الحذف الضمني (Implicite):

وهو الحذف الذي لا يعلن فيه الراوي صراحة عن حجم الفترة الزمنية المحذوفة "أي تلك التي لا يصرح في النص بوجودها بالذات، والتي إنما يمكن للقارئ أن يستدل عليها من ثغرة في التسلسل الزمني أو انحلال للاستمرارية السردية"[1].

2-3- الحذف الافتراضي (Hypothétique):

يعتبر هذا النوع من الحذف حسب جنيت هو أكثر أنواع الحذف غموضا، "والذي يستحيل موقعته، بل أحيانا يستحيل وضعه في أي موضع كان، والذي ينم عنه بعد فوات الأوان استرجاع"[2].

ثانيا: تعطيل السرد.

تعرضنا فيما تقدم لمظاهر تسريع السرد من خلال تقنيتي الخلاصة والحذف حيث يتقلص زمن السرد والآن ننتقل إلى ما يتصل بإبطاء السرد وتعطيل وتيرته، عبر التركيز على أبرز تقنيتين زمنيتين هما: تقنية المشهد و الوقف تعملان على تهدئة حركة السرد .

1- المشهد (Scène)

إحدى تقنيات ابطاء السرد أو الإيقاع الزمني، ويقصد به:"المقطع الحواري الذي يأتي في كثير

[1] جيرار جنيت،خطاب الحكاية، ص 119.

[2] المرجع نفسه ، ص 119.

من الروايات في تضاعيف السرد، إن المشاهد تمثل بشكل عام اللحظة التي يكاد يتطابق فيها زمن السرد بزمن القصة من حيث مدة الاستغراق"[1].

المشهد يمثل نقطة التطابق بين زمن القص وزمن وقوعه .

ويرى حسين بحراوي أنه: "يقوم المشهد أساسا على الحوار المعبر عنه لغويا والموزع إلى ردود Répliques متناوبة كما هو مألوف في النصوص الدرامية..وقد لا يلجأ الكتب إلى تعديل كلام الشخصية المتحدثة فلا يضفي عليه أية صفية أدبية أو فنية وإنما يتركه على صورته الشفوية الخاصة به.. فتكون بذلك المناسبة سانحة للكاتب لممارسة التعدد اللغوي وتجريب أساليب الكلام واللهجات"[2].

وعليه فإن المشهد الحواري يكشف لنا عن خبايا المتحاورين ويساعد على تطور العرض الدرامي للأحداث ونمو الشخصيات من الداخل من خلال ما يدور بينهم من أقوال .

2- الوقف: (Pause)

تتحقق هذه الصيغة عادة بإبطاء السرد من خلال الوصف مثل: وصف الشخصيات، الأماكن، تعداد الملامح، وخصائص الأشياء. "فالوصف يقتضي عادة انقطاع السيرورة الزمنية، ويعطل حركتها"[3].

[1] حميد لحمداني، بنية النص السردي، ص 78.
[2] حسين بحراوي، بنية الشكل الروائي، ص166.
[3] مرجع سابق ، ص 76.

المبحث الثالث: التواتر.

التواتر هو مظهر من المظاهر الأساسية للزمنية السردية وهو كما ورد في معجم السرديات:"يندرج التواتر في مبحث الزمن وموضوعه العلاقة بين نسب تكرار الحدث في الحكاية ونسب تكراره في الخطاب"[1].

يدرس ما يتكرر حدوثه على مستوى الوقائع الحكائية وقد أحصى جيرار جنيت أربعة أنماط من علاقات التواتر تندرج في الحالات السردية الثلاث:

1- التواتر الانفرادي (Singulatif)

ما حدث مرة وتم سرده مرة كما ورد في معجم السرديات:"وهو أن يروى في الخطاب مرة ما حدث في الحكاية مرة"[2]، وهو ما يسميه جنيت بالحكاية التفردية.

أو أن يروى عدة مرات ما وقع أكثر من مرة، وهو كما حدده جنيت:"أن يروى مرات لا متناهية ما وقع مرات لا متناهية..ويظل هذا النمط الترجيعي تفرديا فعلا"[3].

2- التواتر التكراري (Répétitif):

ما حدث عدة مرات وتم سرده مرة،"وهو أن يروى أكثر من مرة في الخطاب ما حدث مرة في الحكاية"[4]، وقد أطلق عليه جنيت اسم الحكاية التكرارية.

---

[1] محمد القاضي، معجم السرديات، دار محمد علي للنشر، تونس ط1، 2010، ص122.

[2] المرجع نفسه، ص 122.

[3] جيرار جنيت، خطاب الحكاية، ص 130.

[4] مرجع سابق، ص122.

3- التواتر التأليفي: (Itératif)

ما حدث مرة وتم سرده عدة مرات، وهو كما تحدث عنه جنيت في كتابه حيث يقول:" هذا النمط من الحكاية الذي يتولى فيه بث سردي وحيد عدة حدوثات مجتمعة للحدث الواحد أي- مرة أخرى- عدة أحداث منظورا إليها من حيث تماثلها وحدة.. سنسميه حكاية ترددية"[1].

[1] جيرار جنيت، خطاب الحكاية، ص 131.

الفصل الثاني: الزمن في رواية

"أنا وحاييم"

المبحث الأول: بنية ترتيب الزمن ومفارقاته في الرواية:

أولا: المقاطع السردية .

ثانيا: الاسترجاع في الرواية .

ثالثا: الاستباق في الرواية .

المبحث الثاني: بنية إيقاع الزمن وتواتره في الرواية :

أولا: تقنية تسريع السرد .

ثانيا: تقنية تعطيل السرد.

ثالثا: التواتر في الرواية .

المبحث الأول: بنية ترتيب الزمن ومفارقاته في الرواية.

أولا: المقاطع السردية

قبل أن نقوم بتحليل البنية الزمنية لرواية "أنا وحاييم" علينا أن نقوم بتقطيعها إلى مقاطع سردية، حتى نتمكن من تتبع التسلسل الزمني للرواية حيث جاءت في (332 صفحة) مقسمة على (ثمانية فصول) معنونه باسم الفضاء الذي دارت فيه أحداث الفصل أو بإشارة لأهم حدث يميز الفصل .

رواية "أنا وحاييم" هي بمثابة وثيقة تاريخية سردية، تحكي تاريخ الجزائر عبر ذاكرة "أرسلان". فهو الشخصية التي اختارها الروائي لسرد الأحداث عبر تقنية التذكر بطريقة السرد الذاتي .

المقطع الأول: يمتد هذا المقطع من الصفحة 11 إلى 18 يمثل نقطة انطلاق الرواية من النهاية، حيث يسجل "أرسلان" ابن السيد المنور حنيفي في العام 1965 أحداث السنوات الماضية بدءا من العام 1944 في مدينة سعيدة. فينطلق من الزمن الحاضر، حيث يطلب من زوجته "زليخة" أن تستعد للسفر إلى وهران ويعود السارد إلى الماضي، عندما يقف أمام دار "حاييم بنميمون" ويستعيد ذكرياته وصديقه حاييم منذ نشأتهما في حي الدرب ودراستهما الابتدائية في مدرسة "جول فيري".

المقطع الثاني: 19-29

يستحضر السارد على دفتر لولبي كبير أياما أخرى تركت أثرا في وجدانه وكان ذلك بعد ثلاثة أعوام فقط من إعلان الاستقلال. وهنا السارد يتنبئ بالمستقبل وهذه المفارقة الزمنية، تكسر خطية تسلسل الزمن، ويعود السارد من جديد بالذاكرة ليسترجع لحظة انتقاله إلى ثانوية مدينة معسكر،

ويصف لنا المكان، والأساتذة، والتلاميذ، وصرامة النظام الداخلي، فيتذكر مواجهته مع "مسيوويل" في بداية سنة الأولى .

المقطع الثالث: 36-54

يواصل السارد استرجاع ذكرياته ويمعن في الوصف وذكر التفاصيل، عند التحاق "أرسلان وحاييم" بالطور الثانوي مع أساتذة أكثر صرامة ومواد جديدة تزداد صعوبة وتعقيدا. كذلك يسترجع الأوقات الحميمة في بيت الجدة ربيعة بالدرب، ويصف كيف أجواء الاحتفال بأول الأهالي التحاق بالجامعة .

المقطع الرابع: 61-69 .

يمثل هذا المقطع بداية الفصل الثاني من السرد، حيث يواصل السارد سرد الأحداث عبر تقنية التذكر ليسترجع أحمل تذكار وهو يوم أول سفر إلى مدنية الجزائر؛ ويصف مغامرة ركوب أول مرة قطار سعيدة حتى وصوله إلى محطة "بيريكو"، وركوب القطار الثاني، الرابط بين وهران والجزائر الى غاية لحظة وصولهما الى جامعة الجزائر واختيار" أرسلان" الفلسفة بينما"حاييم" اختار التوجه الصيدلي.

المقطع الخامس: 80-97.

يستهله السارد بحوار بين "أرسلان حنيفي" و "حاييم بنميمون" و "الصادق هجاس" من تيزي وزو وتلبية دعوته، حيث تعرف على "حسيبة وصال" وهناك ينفتح "أرسلان" على النقاش السياسي الطلابي للحركة الوطنية .

المقطع السادس: 102-109.

حمل "أرسلان" شيئا من ذلك الانشغال في عطلته الصيفية لسنته الثالثة، ويحدث جدته "لالة ربيعة" بنت الفوضيل على أن مدينة سعيدة الحالية لم تكن في الأصل سوى مجرد حامية بناها عسكر الاحتلال. فالسارد في هذا المقطع ينقب في الذاكرة البعيدة، لأن فصول الحكاية تبدو وكأنها تطوي (عشرين عاما) فيما هو ظاهر من أحداثها، تبتدئ من الأربعينات وصولا إلى جزائر ما بعد الاستقلال في الستينات، بيدا إنها في الواقع تمتد من واقعة المروحة منذ عام 1827.

المقطع السابع: 113-115.

العودة إلى الحاضر من خلال قول السارد: "خمنت، متوقفا للحظات أنظر في فراع البياض أمامي، لو أن ما حدث في ليلة أول نوفمبر من تلك السنة، قبل اثني عشر عاما، لم يقدر له أن يحدث، أكان لي أن أجلس الآن في هذه المكتبة بكامل حريتي.."ويستبق السارد الزمن بوقوفه غدا صباحا كأستاذ في ساحة دار المعلمين ويعود بالذاكرة خشية التلاشي، ما يعبر ذهنه من عودته الأخيرة الى الجزائر يتذكر محاضرة السيد "فيليب هنري" وبجانبه "سلين شوفالييه ".

المقطع الثامن: 116-134.

في هذا المقطع تظهر وجهة نظر السارد في الشائعات التي تسري حول إنشاء تنظيم سري يعد لعمل مسلح، فكانت ليلة "عيد الأموات الحمراء في 1954"...يلتحق أرسلان بصفوف الثوار المجاهدين، وينقطع حبل الذاكرة ليعود السارد إلى زمن الحاضر في قوله: "لقد حرن بي تفكيري في هذه الليلة على نحو لم يسبق لي مثله من قبل " .

ثم تقفز به ذاكرته إلى استحضار ما فعله بين اليوم الذي حمل فيه شهادة التخرج، وغادر الجامعة نهائيا؛ وبين الساعة التي جاءه فيها الفقيه ومعلم القرآن "سي النضري" صباح الجمعة..ليعود مجددا إلى حاضره في قوله: "ثم ها أنا، بينما ساعة المكتبة الحائطية تشير إلى العاشرة ليلا وخمس عشرة دقيقة..".

المقطع التاسع: 135-141

عودة إلى الحاضر حين يقول السارد "بينما عين زليخة لا تزال علي- إنها الآن في السرير تقرأ"- واسترجاعه لما رجع الدرب من أربعينية وفاة جدته، والتي بعدها يغادر أرسلان إلى وهران، كان بحاجة إلى أخذ مسافة عن حزنه، وهنالك يلتقي ب" سلين شوفالييه" بالصدفة داخل مكتبة "لورون فوك"، ويذهب إلى مدينة تلمسان وتذكر أن جدته تمنت له يوما أن يزور مقام سيدي بومدين .

المقطع العاشر: 143-156.

تعود به الذاكرة إلى ذاك السبت، من نهاية شهر أغسطس، الذي تواعد فيه مع "حاييم" الذي كان قد دخل في سنته السادسة والأخيرة، التربص الميداني الإلزامي..وتحضيره مذكرة تخرجه؛ بينما "أرسلان" وزع وقته بين السفر والتكفل بما تتطلبه مواسم الفلاحة في مزوعتهم من جهة، واجتماعات خلية "سي فراجي" التي صار يقدم من خلالها عروضا قصيرة حول حرب التحرير والدعاية المضادة من جهة ثانية .

المقطع الحادي عشر: 157-162.

أرسلان أخذ المسدس بعد ما أشتراه من دكان المرابي "سمير مردوخ"، وذلك المسدس هو ما كان سينتقل إلى "زليخة" كغنيمة من حرب التحرير ؟ وهو استباق لما سيحدث لاحقا، ويواصل سرده ويسترجع لما "حاييم" يبوح "لأرسلان" بأنه جاءه قبل أسبوع، برفقة "كولدا"، من حاول أن يقنعه بأن يغادر مثل المغادرين إلى فلسطين.

المقطع الثاني عشر: 165-169.

السارد يعود بنا إلى الليلة التي يتذكر فيها وهي التي تمثل الزمن الحاضر في الرواية فيقول: "هفوت إلى روحها في هذه الليلة متأملا مليا صورتها على أحد رفوف المكتبة..". ويتذكر في اليوم الموالي المصادف الأربعاء في الحادي والثلاثين من أكتوبر، الذي كانت الحرب غداته ستدخل عامها الثالث، ويواصل السرد إلى غاية الليلة الأخيرة من شهر أكتوبر الباردة عام ستة وخمسين، حيث يقول "مررنا، لابسين معطفينا، بالقرب من كنيسة القديسة جان دارك..."

المقطع الثالث عشر: 170-180.

تلتحق "زليخة" بنت الشيخ النضري بالثورة في " ليلة ثلج بالجبل" ويتعاون "حاييم" ويجمع الأدوية واللوازم الطبية للثوار، وفي هذا المقطع نلاحظ العديد من التحولات الزمنية حيث يبدأ السارد بالزمن الحاضر حين قال: "لذلك فإني اليوم لا أعزو نجاتي إلى حسن حظ.." لأن الحظ مجرد وهم، بل إلى الصدفة، فالصدفة قتل غيري بدلي أنا في تلك الاشتباكات."

ومنه يستبق ما سيحدث فيشير إلى زمن المستقبل بعبارة "كما قلت لحاييم يوما بعد الاستقلال !" وبانتهاء هذا الاستباق يعود مجددا إلى حاضره وهو في الليل وصمت الكتب والصور من حوله، ثم

يتذكر فصلا من حياته؛ لما صعدت "زليخة" إلى الجبل، لتلتحق بالفرقة، وفجأة تعود به الذاكرة إلى الزمن الحاصر بعبارة "إني ابتسم من جملتها الآن ".

المقطع الرابع عشر: 184-191.

السارد يعود إلى الحاضر:" في ليلة شتاء أخر ممطرة كهذه التي يقصف رعدها مدينة وهران حد أن أسمع أزيز زجاج نافذة مكتبتي." بعد ذلك يسترجع ذكريات سنوات الجامعة الأربع، ونادي الطلبة، وحي القصبة، ثم يعود من جديد إلى حاضرة "وقفت للحظات أمام صورتي والدي، حين دخلت المكتبة في هذه الليلة" فيتذكر والده "المنور حنيفي" ووالدته "تركية" بنت سليمان ولما كان يتمتعان به من حكمة وسعة نظر.

المقطع الخامس عشر: 196-198.

في هذا المقطع "أرسلان" يستشعر ما كان سيحدث على بعد ثلاثة أشهر من وقف إطلاق النار، واستذكاره الأثر الموجع الذي خلفته في نفسية قراءة مذكرة "حاييم" ويعبر عن ذلك الوجع بقوله:" حتى أحسست دمعي يصاعد إلى عيني ."

المقطع السادس عشر: 213-217.

يتواصل الحبك إلى الاختبار بين (نعم أو لا) لاستقلال الجزائر في 1962، فيتذكر "أرسلان" وصف "حاييم" لذلك المد البشري الطوفاني من الأهالي، الذي اجتماع مكاتب التصويت منذ الصباح لإطفاء نار الحرب نهائيا وفي صباح الخامس من جويلية لقاء كل من "حاييم" و "أرسلان" و "زليخة" بعد سبعة أعوام ونصف العام من الحرب ولقاءه "بحاييم".

المقطع السابع عشر: 218-226.

يعود السارد إلى الزمن الحاضر ويشير له بقوله: "الليلة وأنا استرجع ذلك" ويواصل السارد الحديث ليعود بنا إلى الماضي حين أخبرته "زليخة" إنهم يحاصرون دار حاييم !" ويأتي "أرسلان" ليخبرهم قائلا: "انتهت الحرب !ومعها يجب أن ينتهي كل تفكير في الثأر".

المقطع الثامن عشر: 228-242.

في هذا المقطع نلاحظ كثرة المفارقات الزمنية بداية بقول السارد: "ما يمنعني أن أقول لها بعد لحظات إنك كنت يومها فاتنة ؟"

ويعود بنا السرد زمنيا لما تعرف "أرسلان" بأم "زليخة" الخالة "غزالة"، وفجأة تنقطع خطية الزمن للعودة إلى الزمن الحاضر بقوله: " زليخة الجميلة المستلقية الآن في السرير وهي تقرأ رواية عن وهران امرأة من حوته من رخام الكرامة نفسه ".

المقطع التاسع عشر: 249-255.

يبدأ هذا المقطع مع بداية الفصل السادس من الرواية المعنون ب"كفرحة عابرة"، حيث يتم إبلاغ "أرسلان" بقرار تعيينه مفوضا لبلدية المدينة شهرين بعد إعلان الاستقلال؛ وقد طلب منهم إضافة "حاييم بنميمون" ضمن المستشارين، وفي هذا المقطع يتذكر "أرسلان" حديثة مع "حاييم" عن الاحتلال وما ترتب عنه من وقائع الحرب وعن عمليات الثأر والفوضى.

المقطع العشرين: 263-274.

عودة الى حاضر الحكي فيقول السارد: "زليخة التي دخلت قبل لحظات المكتبة..وأخذت رواية جديدة لتبدأ قراءتها في هذه الليلة".

ويتذكر حديثة مع "حاييم" عن السيد "موريس" ويتابع سرده إلى أن يستبق الزمن بقوله: "سأقترح على زليخة أن تتغدي غدا السبت في أحد مطاعم الميناء المتخصصة في السمك ".

بعد ذلك يرجع السارد بذكرياته يوم حضر "حاييم" مراسم عقد قرانه على " زليخة" في دار البلدية نفسها، كان مضى إعادة فتح صيدليته عام .

المقطع الواحد و العشرين: 285-301.

يا لها من فرحة ولكنها عابرة بسرعة، تطغى عليها الخيبة والرحيل، فيسترجع السارد ما آلمه في السنة الثانية التي تلت يوم الاستقلال، وهو صدامه مع ممثل الجهاز السياسي، وفي الثامن من شهر مايو اجتماع هيئة العمالة والتي انتهت بقرار تحويل (ج.ت.و) إلى حزب خلال مؤتمرها المنعقد قبل أسابيع "فيوم للخيبة ويوم للرحيل" يعني ذلك الخيبة من الانتهازيين، والوصوليين، والرحيل بوجع الانكسار والفقد .

المقطع الثاني و العشرين: 311-325.

ويشمل بداية الفصل الأخير من الرواية والمعنون ب:"1965- بوجع الانكسار و الفقد"، ويتجسد ذلك في رحيل "أرسلان" من سعيدة إلى وهران، وفقد صديقه الحميم "حاييم" إذ يقول: "غريب أن ينتابني في هذه الليلة ما قبل الأخيرة...إحساس بأني سأفقد شيئا ارتبطت به طيلة ستة أشهر".

فقد كانت أكثر الأحداث المؤلمة بالنسبة "لأرسلان" هي الانقلاب العسكري في العام الماضي، وهو ما يمثل الزمن القريب السرد، ورسالة من "حاييم' يعتذر فيها لأنه لم يخبره قبل ذلك الوقت بأنه

سيرحل قريبا عن هذه الدنيا ويطلب منه أن يسهر على أن ينقل جثمانه إلى مدنية سعيدة وعلى أن يحفر له في مقبرتها قرب والديه.

المقطع الثالث و العشرين: 329-333.

في هذا المقطع يتوقف "أرسلان"عند مدخل جبانة اليهود، وهنك يتذكر أن ثلاثة أشهر، كانت قد مرت على وصول"حاييم" الأخير، إلى عالم صمته النهائي وكأنها ثلاثة أيم أو ثلاث ساعات.

ويسترجع الليلة التي تحدث فيها عن الغرابة الطريفة في تشابه كتابه العربية والعبرية في الاتجاه نفسه من اليمين إلى الشمال، وفي اشتراكهما في أصوات، وكلمات، و بالدلالة نفسها، ويقول أيضا: "وفي الليلة إياها، نكدني، مبتسما، بأني متخلف عنه مسافة لغوية لأني لا أتكلم العبرية مثلما يتكلم هو العربية !."

من خلال هذا العرض للمقاطع السردية، يتضح لنا أن رواية "أنا وحاييم"، ليست قائمة على التسلسل المنطقي للأحداث؛ واختلاف المقاطع السردية زمنيا راجع لكثرة المفارقات الزمنية التي تكسر خطية تسلسل الزمن.

ثانيا: الاسترجاع في الرواية.

جاء نص أنا وحاييم مختفيا بالماضي من خلال عودته المستمرة إليه وتوظيفه الدائم لذاكرته، واستثمار مخزونه الذي يكسر حدود الأبعاد الزمنية داخل النص، وباعتبار النص الروائي هو القالب المفتوح على مختلف التشكيلات الزمنية، فإنه لا يمكن أن نتصور عملا روائيا دون أن يحمل في طياته زمن معينا .

ومن بين الاسترجاعات التي جاءت في نص "أنا وحاييم"، نميز نوعين اثنين هما:

- الاسترجاعات الداخلية .

- الاسترجات الخارجية .

والذين يعملان على إضاءة الذاكرة المنبعثة من الماضي وفي مايلي سنحاول تقديم نماذج عن هذه الاسترجاعات .

1- الاسترجاعات الداخلية:

إن الاسترجاع الداخلي "يستعيد أحداث وقعت ضمن زمن الحكاية، أي بعد بداتيها"[1]، حيث يعود الروائي إلى الأحداث والوقائع إما لسد ثغرات سردية أو لتسليط الضوء على شخصية من الشخصيات، أو التذكير بحدث من الأحداث ومن بين الاسترجاعات الداخلية التي جاءت في الرواية، نسوق المثال التالي:

[1] لطيف زيتوني، معجم مصطلحات نقد الرواية، ص 20.

– "وقفت على الرصيف المقابل، وقفة لم أقفها من قبل، محزون الخاطر أمام دار حاييم بنميمون تبدو ساكنة مثل كائن تحجر..."[1]، نلاحظ أن هذا الاسترجاع يعكس حنين السارد، وحزنه على منزل صديقه الذي سادته السكينة وبعد غياب أهله عنه.

كما نجد استرجاعا داخليا آخر، وذلك عندما استرجع السارد حال غرفة أبوي صديقه، والتي لا تزال على حالها بعد وفاتهما، ويتجلى ذلك في قوله:"وها هي غرفة أبويه، وقد صارت عرفة نومه بعد وفاتهما، هي الأخرى بنافذة ذات ستار مرفوف تطل على الشارع مغلقة لا تزال بخزانتها على جانبيها أفرشتها وأغطيتها منضدة على طاولتين بسريرها الكبير بصوانيه؛ على أحدهما أباجورة وعلى الأخر شمعدان المينوراه سباعي المواسير وكتاب التوراة بتجليد بني غامق"[2].

ويتحلى أيضا في مقطع أخر استرجاع داخلي، يقول فيه:

"...وفي انتظار أن تجف ملابسنا، استعدنا ما كنا نتآمر به على ماكس باتيست، زميلنا في المدرسة، الأمر الذي بسببه شكانا إلى أبيه ألفونسو، مدعيا أننا استهزأنا به مرة في ساحة المدرسة"[3].

وكذلك بقوله:" يوم زار السيد ألفونسو باتيست مدير المدرسة وطلب منه توضيحا، استدعي المعلم مسيو سانشيز، وسئل عن الأمر فنفى بحزم غير أن السيد ألفونسو باتيست لم يقتنع، وهدد بأنه

[1] الحبيب السائح، أنا وحاييم، دار ميم للنشر، الجزائر، ط1، 2018، ص 11.
[2] المصدر نفسه، ص 12.
[3] المصدر نفسه، ص 16.

سيقطع عن المدرسة مساهماته الخيرية إذا لم يتخذ إجراء ردعي في حق التلميذين المذنبين، أرسلان ابن القايد وحاييم ابن اليهودي"[1].

من خلال هذه الملفوظات السردية، يستذكر السارد شخصية والد زميلهم في المدرسة ألفونسو باتيست، من خلال إلقاء الضوء على عدة جوانب من ماضيها.

ومن أمثلة الاسترجاع الداخلي كذلك ما ورد في الرواية:"وبصوت رخيم ونبرة موقعة، كأني أسمعه الآن في عمق هذا الليل في مكتبتي راح حاييم، على هدير محرك الحافلة وتداخل أصوات المسافرين، يصف لي، كأنه رحالة، مرتفعات جير يفيل التي تبدو فيها السماء أقرب إلى الأرض من غيرها في أي مكان أخر، والسهوب ومساحاتها الشاسعة غير المحدودة بنظر..."[2]، كان هذا الاسترجاع بمثابة تذكر السارد لصديقه حاييم وهو يصف له المناظر الطبيعية التي زارها خلال عطلته. وكذا للأطباق التقليدية التي تذوقها آنذاك، في قوله:"ولولا أني تذوقت مثل تلك الأطباق في مزرعتنا، وعند جدتي ولكن بنكهة أخرى بلا ريب، لشككت في وصف حاييم لها بما يسيل له اللعاب "[3] .

كما نجد استذكارا داخليا أخر، استرجع فيه السارد سنته الأولى في الطور الثانوي رفقة صديقه حاييم، والتي يقول عنها أنها لحظة راسخة في ذهنه، وأنه يضحك كلما تذكرها وكأنها وقعت لتوها قائلا: "إني أضحك في نفسي كلما أعادني الحديث، كما الآن، إلى تلك السنة الأولى من الطور الثانوي، السنة التي ما إن انقضت أسابيعها الأولى على حتى صرت أنظر إلى غيري، في الطور

[1] الحبيب السائح ،أنا و حاييم ، ص 17.
[2] المصدر نفسه ، ص 40.
[3] المصدر نفسه، ص 41.

الإكمالي، بالعين نفسها التي كان ينظر بها إلينا، أنا وحاييم وزملائنا، من كانوا يسبقوننا ! فقد أضحينا مثلهم نرتدي من الملابس ما صار يظهرنا قريبين من الرجال"[1].

وفي هذا الاسترجاع الداخلي:"إنها، كما أسجله في سكون هذه الليلة، لبست أجمل عباءة لها ووضعت حليها الذهبية الخفيفة في أذنيها وجيدها ومعصميها، وكحلت عينيها، ومضغت المسواك، ومشطت شعرها– جدتي لا تكشف عن شعرها لغيري ولو كان والدي إلا والدتي..."[2] نجد السارد يعود بذاكرته إلى الماضي، إذا يتذكر صورة جدته، وكذا الأوقات الحميمة التي قضاها سويا في بيتهم بالدرب.

ومن الأمثلة الواردة في الرواية: استرجاع الابن الوحيد والمدلل لعائلة حنيفي، لخادمة بيتهم_ زوجة عثمان_ قائلا:"جاءت الخادمة، زوجة عثمان، حين كنت أهم بالخروج، وقبلت يدي، كما تقتضيه العادة التي أرساها والدي، واستمعت لسيدتها تملي عليها ما ستحضره للمناسبة.

وما إن حل المساء حتى، وجدتني محاطا بعناية أميرية. وإذا أذكر هذا أتذكر البؤس الأسود الذي كان ينهش الأطفال من أبناء الأهالي في تلك السنين"[3] ، فالسارد هنا بالرغم من أنه يتذكر حياة الترف التي كان يعيشها، إلا أنه لم ينسى صورة الأطفال المزرية مقارنة بحاله.

[1] الحبيب السائح، أنا وحاييم ، ص 43.
[2] المصدر نفسه ، ص 51.
[3] المصدر نفسه، ص 54.

وفي قوله: "ثم، إذ نظرت إلى والدي نظرة امتنان بما في عيني من خشعت الوداع ورجعت نحوها، رفعت بيمناها ما كانت تضعه جنب ركبتها وقدمته لي بيديها معا، مرتعشة الصوت، ومقاومة دمعتها، هذا سترك !

كان مصحفا على طبعة الثعالبية لعام 1935..."[1].

يتوقف السارد ليعيد لنا وقائع الحكي الأول الذي جرى بينه وبين والدته في يوم تود يعها له، وكيف كانت حزينة على فراقه، مقاومة نزول دمعتها.

ونجد استرجاعا داخليا أخر، وهذا أثناء تناول كل من أرسلان وحاييم الغداء في بيت السيد بنكيكي: "إثر تناولنا الغداء في بيت السيد بنكيكي، كنا قد حجزنا، بفندق الحديقة الواقع في حي بارناق، غرفة بسريرين وطاولة صغيرة وكربي واحدة ومغسل فقط، وكان المرحاض في نهاية الرواق مشتركا، وكان ذلك أمر مزعجا لنا، ولولا أن حاييم كان من المبكرين المنتظمين جدا الذين تتوفر أجسامهم على ساعة بيولوجية أكثر دقة من أي ماركة سويسرية، كم مازحته، لتكلفنا الشفاء"[2].

فالسارد هنا استرجع بعض الأحداث التي وقعت أثناء التحاقهما بجامعة الجزائر وما تكبداه من عراقيل أثناء إقامتهما في الفندق.

ويواصل في مقطع أخر قائلا:..."بدا لي فجأة أننا لم نعد وحدين، أنا وحاييم، فقد وجدت الصدق، ذا جاذبيته لافتة، لقامته الطويلة ووجهه الجميل المثير للغبطة وصوته العميق، إذا دعاني خلينا نلتقي !"[3].

---

[1] الحبيب السائح،أنا و حاييم ، ص 56_57.

[2] المصدر نفسه ، ص 78.

[3] المصدر نفسه، ص 81.

ومن استرجاعات أرسلان الماضية، و الواقعة داخل الإطار الزمني للحكاية الأولية، تذكره لحديثة مع جدته خلال أيام العطلة: "...ورويت لها أن حسيبة كانت دعتني، أنا وحاييم والصادق الى بيت عائلتها للغداء على طبق الكسكس متبوعا بالقهوة والطمينة وحلوة الترك، فابتهجت.

وأرسلت إلى من عينيها فيض غبطة .

"وحفيدي محبوب أيضا ! قالت قائمة ضاحكة"[1] فنجده من وراء هذا القول سيتحضر ثناء جدته عليه.

بالإضافة إلى هذا نجد استرجاعات داخليا أخر:"خوانا طوريس"، حارسة العمارة، نفسها صارت، إذ ترفع إلى عينيها حين أحييها، تلاحقني بنظرتها الخالية من أي تعبير إلى أن أضع قدمي خارج الباب أو على الدرجة الأولى من السلم..."[2]، فهنا نجد السارد أدخل شخصية جديدة للرواية قصد إضاءة سوابقها في النص الروائي.

ونجد في هذه الرواية هذا المقطع الذي يعبر عن استرجاع داخلي، وهو:"ثم ها أنا، بينما ساعة المكتبة الحائطية تشير إلى العاشرة ليلا وخمس عشرة دقيقة، قد فككت يدي عن قفاي واعتدلت في جلستي فانجلت لذهني، من غمامة حيرتي، هيئة ذاك الرجل الورع الذي يطمئن إليه القلب ذي الوجه الأحمر الممتلئ واللحية المشتعلة المخففة و العينين الصغيرتين الباسمتين."[3]

[1] الحبيب السائح،أنا وحاييم ، ص 109.
[2] المصدر نفسه ، ص 114.
[3] المصدر نفسه، ص 134.

أراد السارد من هذا الاسترجاع سد ثغرة وقعت في النص، تتمثل في تعامل أرسلان مع الخلية السرية خلال حرب التحرير.

وفي هذا الاسترجاع: "شلوم . سعيدة تسعد بعودة ابنيها الوفيين الأستاذ والصيدلي. يا مرحبا !، قال سمير مردوخ وهو ينهض مثل عفريت من كرسيه أمام باب مكتبه حين كنا نمر بشارع إيزلي في طريقنا إلى فندق الشرق."[1] فالسارد هنا يتذكر قول "سمير مردوخ" الذي رحب بعودتهما إلي سعيدة.

وفي مثال أخر:" وقفت للحظات أمام صورتي والدي، حين دخلت المكتبة في هذه الليلة، فأحسست في جسدي كله كمثل دبيب النمل لما كان يسكن قلبي في الجبل من فرع وخوف عليهما من تصفية احدهما أو هما معا في خضم حرب كانت قد ازدادت، في عامها السادس، ضراوة وشدة..."[2].

هنا يتوقف السارد ليعود بنا إلى لحظات وقوفه أمام صورتي والديه، وما انتابه من خوف وقلق على حالهما وحياتهما في خضم حرب التحرير وهو في الجبل بعيدا عنهما.

أما فيى هذا المقطع :"... فأمسكت بيد زليخة اذ شهقت . هل يمكن أن نراه؟ سألت مسؤول المكتب، وكنت لاأقصد أن نزور حاييم .

فرد بحركة نفي من رأسه، خافضا عينيه، وسحب الظرف المفتوح فمده لي، بينما أخرجت زليخة منديلها من محفظتها اليدوية وكمشته"[3].

---

[1] الحبيب السائح،أنا وحاييم ، ص 155.

[2] المصدر نفسه، ص190.

[3] المصدر نفسه ، ص 325.

فإننا نجد أنفسنا أمام استرجاع السارد لأحداث وقعت قبل الخطة الآنية للسرد، والمتمثلة في الحوار الذي جرى بين زوجته ومسؤول المكتب، بعدما كان قد دعاهما إلى المستشفى ليكلمهما عن حالة حاييم الصحية .

2- الاسترجاعات الخارجية:

وهي التي يتم من خلالها استعادة الوقائع الماضية التي كان حدوثها قبل المحكي الأول، وكما أسلفنا الذكر، بأنها تكون خارج الحقل الزمني للأحداث السردية، أي أن سعتها تكون دائما خارج سعة الحقل الزمني للمحكي الأول، الذي يتم تقديمه وهي بذلك تعمل على "إكمال المحكي الأول عن طريق تنوير المتلقي بخصوص هذه السابقة أو تلك"[1].

لقد وردت الاسترجاعات الخارجية في رواية "أنا وحاييم" بكثرة، وكان معظمها على شكل حدث سردي، يروي لنا ما جرى في زمن مضى، والذي يعتبر طريقا ممهدا لما سيجري في الزمن الحاضر للرواية، ومن بينها نجد:

"...ذاك الذي رأيت حاييم يخرج منه بمحفظته قبل ثمانية وعشرين عاما كي نتوجه معا لأول مرة الى مدرسته جول فيري ..."[2]، هكذا بدأ أرسلان في الكشف عن جانب من حياته، بدأ من تلك اللحظة التي كان فيها هو وصديقه حاييم تلميذين في مدرسة جول فيري لأول مرة.

[1] ينظر: جيرار جنيت، خطاب الحكاية، ص 60.

[2] الحبيب السائح، أنا وحاييم، ص 11.

وفي مقطع أخر يقول:"هنا كنت قبل ثلاثة أعوام شربت مع زليخة قهوة كان حاييم قدمها لنا بعد نجاته من السحل صباح يوم الاستقلال" [1]

فالرواي هنا عاد بنا إلى ثلاث سنوات تسبق بداية حاضر السرد، حيث يصور من خلال هذا الاسترجاع لقاءه مع زليخة في بيت حاييم بعد نجاته من حادثة السحل.

وفي استرجاع خارجي أخر، والذي عاد به إلى أيام الصبى.

قائلا:" عامذاك، كنا سنبلغ الثانية عشرة. وعامها كانت الحرب العالمية الثانية ستضع أوزارها بعد سنة"[2]، فمدى هذا الاسترجاع يعود بنا إلى نقطة محددة من الماضي، والتي كان عمر السارد في حدود الثانية عشرة .

كما نجد استرجاعا خارجيا أخر، كان السارد قد فتح من خلاله بابا من مرحلة ماضيه، وهي مرحلة طفولته:"فرحت أعوض عن رضوض الخيبة بما أستعيده من أعوام طفولتي مع حاييم وفي ما تلا تلك الطفولة منذ أن كنا، بحلول الدخول المدرسي المصادف لبداية الخريف، انتقلنا إلى ثانوية مدينة معسكر البعيدة بحوالي ثمانين كيلومترا إلى الشمال على طريق وهران فمدينة سعيدة، بوابة الصحراء كما تسمى، لم يكن متاحا فيها خلال تلك السنين تعليم إكمالي وثانوي"[3]. نجد الراوي هنا قام بتغير وتيرة السرد والخروج عن زمن الحكاية، لكن دون أن يشعرنا بذلك .وهذا عندما كان يعرفنا بمدينتي معسكر وسعيدة.

[1] الحبيب السائح،أنا و حاييم ، ص 13.
[2] المصدر نفسه، ص 18.
[3] المصدر نفسه، ص 19.

ومن بين استرجاعات أرسلان لأيام الثانوية رفقة صديقه حاييم، ما جاء على لسانه:"ثم ذات مرة، وأنا وحاييم عائدان مساء أحد إلى الثانوية، اعترض سبيلنا شابان من الأهالي وطلب أحدهما من حاييم نزع معطفه الشتوي، فيما انتصب الثاني أمامي ليمنعني من الدخول لأنه عرف أني لست أوروبيا".[1]

وفي مثال أخر، ولنفس الفترة، يعود بنا مرة أخرى ليرصد لنا مساره في الثانوية: "ففي بداية شهر جوان، وكان ذلك مثيرا لنا بما كان سينتهي به مسارنا، استلمنا الاستدعاء الرسمي، وفي منتصفه دخلنا امتحان الجزء الثاني من البكالوريا، مع بقية تلاميذ القسم النهائي، تحت عيون حراس يقظين"[2]، كما جاء فيه أيضا:"كانت ثلاثة أسابيع من الانتظار قد انقضت لما تم الإعلان عن نتائج البكالوريا؛ فتسابقنا من أركان الساحة كلها، نحو سبورة نشر قوائم الفائزين. وتزاحمنا فتعالت بيننا أصوات الابتهاج، داخلتها زفرات الإحباط وسطها، نطقت: "بنميمون حاييم !".

وبالمثل، فعل حاييم.

"حنيفي أرسلان !".

كأنما حصل ذلك باتفاق مسبق بيننا."[3]

فمن خلال عودة السارد المتكررة، ورجوعه المتواتر إلى مرحلة الطفولة نستنتج أهمية هذه الأخيرة في حياة كل من أرسلان وحاييم، كونها مرحلة أسهمت بشكل كبير في تكوين شخصيتهما.

[1] الحبيب السائح، أنا وحاييم ص 45.
[2] المصدر نفسه، ص 46.
[3] المصدر نفسه، ص 47-48.

لم تكن مرحلة الطفولة وحدها نقطة لاستقطاب الذاكرة والعودة إلى ماضي السارد، الذي لم يستدرجنا إلى مرحلة الطفولة إلا من خلال نافذة مرحلة الشباب، التي كانت لا تقل أهمية عن سابقتها.

ففي هذا الاسترجاع الخارجي "يظل متحكما في شعور بأن الأوقات التي قضيتها مع حاييم، يتم أول سفر لنا الى مدينة الجزائر، كانت أجمل تذكار وأعذبه وأشده إثارة ليس ذلك لأننا سنلتحق بالجامعة، وهو خط استثنائي بالنسبة إلينا، ولكن لمغامرة ركوبنا أول قطار سعيدة ذا السكة الضيقة"[1].

فتزاحم هذه الاسترجاعات الخارجية، ما هو إلا التفاتة من السارد ليضعنا أمام مراحل رئيسية في حياة الشخصيتين اللتين تأخذان الحيز الأكبر في العالم السردي، وهما أرسلان وحاييم.

كما نجد استرجاعا خارجيا أخر، عندما تذكر أرسلان إحدى الصدمات التي تركت أثرا في نفس كل منهما:" غير أن ما سبب لي وحاييم الصدمة النفسية الأخرى، في اليوم التالي، لما قصدنا إقامة ثانية تؤجر غرفها عن طريق لجنة الخدمات المدرسة والجامعية، هو ما واجهنا أعلى مدخلها كانت اللافتة البيضاء تعلن بالخط الأحمر.

"هنا لا يقبل الأنديجان"[2]، فإن هذا المشهد الذي اعتمده الاسترجاع الخارجي هنا، كان غرضه التركيز على الأحداث ذات الدلالة التي سيظل تأثيرها حاضرا على طول السرد.

وهناك استرجاع خارجي أخر، حيث تذكر حيثيات عشية مغادرتهما الفندق من أجل الاستقرار في الشقة التي انتقلا إليها، مشبها حالة الطمأنينة التي أحسا بها، بحالة النبي موسي عليه السلام

[1] الحبيب السائح، أنا وحاييم، ص 61.

[2] المصدر نفسه، ص 74.

حين أحس بالأمان، فمن خلال هذا الاسترجاع حاول السارد أن يعطي لنا صورة عن نفسية كل من أرسلان وحاييم من وراء هذا التشبيه قائلا:" عشية مغادرتنا فندق الحديقة، وقد دخلنا الأستوديو المفروش الذي اكتريناه بعمارة الصنوبر في حي تيليملي، نزل على قلبيا اطمئنان موسى؛ لأننا كنا حصلنا أخيرا على ما يضمن لنا الاستقرار لنتفرغ كلية للدراسة"[1].

وفي مثال أخر:" صبيحة يوم الأحد، إذا وصلنا في لباسينا الشتويين إلى النادي الكائن قريبا من ساحة الدوق دورليان، متأخرين قليلا لطول المسافة التي قطعناها إليه مشيا، وجدناه غص بالطلبة فاضطررنا إلى الوقوف في الخلف، فاتحين معطفينا. كان الصادق قد شرع منذ لحظات في تقديم عرضه الذي، لسبقنا في إثارة أهم أفكاره لبعضن بما كنا نعرفه عن أوضاع الأهالي الاجتماعية القاسية في الأرياف وفي ضواحي الصفيح والأحياء الشعبية، لم يكن استثنائيا بالنسبة إلينا"[2].

نجد السارد قد استطاع أن يسلط الضوء على ماضي هذه الشخصية "الصادق" بطريقة مفصلة مبرزا بذلك ملامحها الخارجية والنفسية إضافة الى كل الأزمات والوقائع والأحداث التي تأثرت بها، كما أشار أيضا إلى الحوار الذي دار بينه وبين حاييم عن شخصية "الصادق":

" ماذا تقول عنه ؟"، همست لحاييم عن الصادق.

"يتكلم عن دراية، وبلغة غير متكلفة !" رد منتبها.[3]

[1] الحبيب السائح،انا و حاييم ، ص 77.

[2] المصدر نفسه، ص 91.

[3] المصدر نفسه، ص 91.

يتجلى في الرواية أيضا استرجاع خارجي أخر، يحملنا إلى خارج الإطار الزمني للحكاية، وذلك بالعودة إلى استرجاع ما جاء على لسان إحدى الشخصيات في النص السردي، قائلة:"أنت تذكرني بأخي الطالب سابقا في السوربون الذي أعدمته الكستابو لانتمائه إلى خلية مقاومة مسلحة قالت بنبرة شجن."[1]، فالسارد هنا يروي ما جاء على لسان إحدى الشخصيات التي باشرت في تذكرها لما جرى لأخيها فيما مضى.

وفي موضع أخر من الرواية يسترجع أرسلان إحدى الليالي التي عاد فيها متأخرا إلى البيت مما شغل بال حاييم عليه. يقول:"في مساء الجمعة الأخيرة من شهر أكتوبر، رجعت على غير العادة متأخرا إلى الأستوديو، فسألني حاييم السبب"[2].

كما نجد في هذا المثال، إضاءة السارد لذاكرته من خلال استعادة ماضي شخصية "كولدا" التي اختفت، وغابت عن الأنظار لفترة من الزمن قائلا:"كولدا تلك الطفلة المشاكسة ! مضى دهر لم أرها لابد أنها صارت امرأة، قلت لا أتخيل لها سوى وجهها الصغير وجسمها الهزيل.

"سألتني عنك.

– جاءت من سعيدة ؟

– من مارسيليا، نزلت أمس من الباخرة، وغدا تسافر بالقطار إلى هناك، قال بنبرة لم تخل من تحسر"[3].

[1] الحبيب السائح ،أنا وحاييم ، ص 119.

[2] المصدر نفسه، ص 121.

[3] المصدر نفسه ، ص 122.

كما نلفت النظر إلى استرجاع خارجي أخر، حين استذكر السارد ما كانت تتداوله عناوين الجرائد عن هجمات مسلحة في الشرق القسنطيني والغرب الوهراني، والتي طالت منشآت عسكرية ومحافظات للشرطة وغيرها من المواقع يقول فيه" ليلة رعب بين الأحد الحادي والثلاثين من أكتوبر والاثنين أول نوفمبر ألف وتسعمائة وأربعة وخمسين."

" الوضع خطير. قتلى وجرحى في صفوف قوى الأمن والمدنيين "

"المهاجمون في منطقة الأوراس يقتلون ضابطا سابقا من الأهالي في صفوف الجيش ومعه معلما فرنسيا"[1]، وهنا يذكر إحدى الفترات المضطربة التي عاشتها البلاد آنذاك.

وفي هذا المثال أيضا استرجاع خارجي، جاء به السارد على لسان شخصية "زليخة"حين قالت:" كنت نبشت في حافظة أوراق جلدية أخرجتها أمي، من بين حجرتين داخليتين من دعامة بئر الحوش، فوجدت بينها قوائم بأسماء من كانوا يدفعون له اشتراكات دعم الحرب، وأخفيت عنها دهشتي إذا قرأت اسميكما أنت وحاييم..."[2]، وهذا الاسترجاع جاء خارج الإطار الزمني للحكاية، اتضح من خلاله مساندة كل من حاييم و أرسلان للثورة .

وفي هذا المقطع الاستذكاري: "قاطعت زليخة ألان بورسييه في شارع إيزلي الغاص في مساء ذلك السبت الخريفي البارد. واجتازت إلى الرصيف الأخر ودارت فأسرعت خطاها...مر ألان بورسيية كان يلبس معطفا وقبعة، وكانت هي في معطف أيضا وفولارة على رأسها. مشت وراءه على بعد أمتار...أسرعت قليلا، شددت قبضتها على المسدس في جيبها، نادت "مسيو !" التفت...وضعت إصبعها على الزناد، توقفت حيته...نطق في عصبية: من تكونين ؟" أخرجت

[1] الحبيب السائح،أنا وحاييم ، ص 124-125.

[2] المصدر نفسه، ص 181.

المسدس...ترددت لحظة، نقل يده في حركة خاطفة الى جهة صدره اليمنى، عاجلته بطلقة أولى فثانية. ترنخ، وكان قد أخرج مسدسه. أطلقت ثالثة. لم تعد تسمع شيئا. أحست فقط مثل وخزة في ساعدها"[1].

ومن نفس الفقرة أيضا: "دخلت الصيدلية من بابها الخلفي حسب مخطط الانسحاب، وجدت حاييم في انتظارها، أدخلها المخبر وربط على ساعدها ضمادة لإيقاف النزيف..."[2]، وهنا تتوالى الأحداث حول ما عايشته "زليخة" في تلك اللحظة، وقد شغل هذا الاسترجاع الخارجي مساحة نصية تقدر بصفحتين ونصف، فالسارد هنا ذكر جانبا من ماضي الشخصية لأجل أن يتعرف القارئ على بعض خصائص تجاربها الحياتية، وكذلك إضاءة ماضي شخصية "زليخة" في الرواية.

كما أن السارد هنا استرجع فاجعة الرصاصة التي أصابت زليخة .

وفي مقطع أخر يقول: "كل الذكريات الصغيرة انثالت علي وإذ نظرت إلى وجه "حسيبة وصال" الجميل مضرجا بالدم كانت تبدو مغلقة العينين مفتوحة الشفتين، كما في حال استرخاء من تعب، بين عمر بلا ذراع وجمال ممزق الصدر. زفرت. أحسست صدري التهب وعيني ستنفجران .

"القتلة ! ونسفوا المخبأ بمن فيه من أعضاء الخلية"، نطقت بصوت مذبوح[3].

فالسارد هنا يسترجع ملامح "حسيبة" عندما تم قصف مخبأ الخلية والتي فقدت حياتها على إثر هذا الحادث الأليم.

---

[1] الحبيب السائح، أنا وحاييم، ص 181-182.

[2] المصدر نفسه، ص 182.

[3] المصدر نفسه، ص 186.

ومن بين الاسترجاعات الخارجية أيضا:" وإذا أنهى حاييم تجميع ذلك سألته إن كان لا يخشى أن تكتشف لجنة مراقبة، تنزل عليه فجأة، نفاد أدوية مهمة مثل البينيسلين في ظرف قصير. فأجابني مبتسما، وهو يهيئ علبة الكرتون، أن بعض الأدوية يجلبها من غير تسجيل لأنه يعرف مسؤولا شيوعيا من الاروبيين في الصيدلية المركزية لا يخفي تعاطفه مع القضية هو الذي يتواطأ معه.[1]

يستمر الاسترجاع هنا في سرد تفاصيل الماضي في هذه الفقرة، لتزويد المتلقي بمعلومات عن "حاييم" والمتمثلة في دعمه للقضية الجزائرية إبان ثورة التحرير، فيبرز السارد من خلال هذا الاسترجاع مدى تخوفه من أن يكشف أمر حاييم من جراء هذه المساعدات التي يقوم بها.

وفي استرجاع خارجي أخر، يقول السارد: "أنا الذي كانت تقول لي حينما تحدثني عن طفولتي إني ظللت لحولين كاملين عالقا صدرها مثل قرادة أطلب ثديها."[2]، ففي هذا الاسترجاع تقوم إحدى الشخصيات في الرواية بتذكير أرسلان عن أيام طفولته وهو في حضن والدته .

"والدي العزيز تذكرتك اليوم، لمرور عام على التحاق والدتي بك. وكان يمكن أن أسجل هذا بعد خروجي من أيام الخزن عليك. لكن ذلك لم يحدث، مع أنك كنت لا تفتأ توصيني بألا ننسى أننا أصحاب كتاب مقدس منه نستلهم سر كل كتابة، وبأنه لا يجدر بمن له كتابة ألا يترك أثرا مخطوطا، وبأنه علي، من موقع المتعلم، أن أعوض عنك ما فاتك أنت لا نصرافك كليا إلى تأمين خبزنا وبقائنا."[3]

[1] الحبيب السائح، أنا وحاييم، ص 189.
[2] المصدر نفسه، ص 196.
[3] المصدر نفسه، ص 199.

يتجلى هذا الاسترجاع في تجسيد الاضطراب والحزن الذي يتشابك معه أرسلان في الحاضر، متحسرا على الماضي، ويلجأ إلى ذكريات كلما ضاق به حاضره، إضافة إلى هذا يطلعنا السارد على جملة من الوصايا التي كان والده يقد مها له قبل وفاته .

وفي مثال أخر للاسترجاع الخارجي: "الحب ! أي الحب في هذه الدنيا غير الذي تمنحك إياه أمك ؟"[1].

لقد ارتد "الحبيب السائح" في الاسترجاع من الحاضر إلى الماضي بطريقة تختلف عن سابقتها، من خلال توظيفه للإستفهام في هذا المقطع ولم يلجأ إلى الأسلوب التقليدي الذي يشير إلى الاسترجاع بعبارة "أسترجع"أو "أتذكر"، فالسارد هنا استرجع حب والدته له وما منحته إياه من حنان في هذه الدنيا قبل وفاتها بأسلوب مختلف.

في موضع أخر:" قبل أيام فجرت المنظمة المسلحة السرية بناية مسرح المدينة، ومن سيارة بلا ترقيم أطلقوا النار بدم بارد على العابرين من الأهالي في بعض شوارع المدينة، ومروا على سي فراجي في دكان الخياطة فألقوا عليه قنبلة مزقته"[2]، صور السارد من خلال المثال بعض المشاهد من حادثه مؤلمة إبان ثورة التحرير، كما أنه استعاد ماض شخصية "سي فراجي"، بإعطائه معلومات للقارئ من خلال رصد طريقة مقتله على يد المنظمة المسلحة السرية.

وفي نفس الصفحة استرجاع خارجي أخر:"أنا، وحاييم، مثل زليخة وبقية جنود الفرقة، كنا يوم ذاك الاثنين قد شرعنا في التأهب للنزول من الجبل نحو مراكز للتجمع فيها بعد أن أبلغنا القائد بأن

[1] الحبيب السائح، أنا وحاييم، ص 202.

[2] المصدر نفسه، ص 210.

قرار وقف إطلاق النار دخل حيز التنفيذ، بدءا من منتصف النهار في كل مناطق البلد !"[1]، فالسارد هنا توقف عن سرد أحداث الحاضر، ليذكر ما مضى من أحداث عندما كان هو وحاييم و زليخة في الجبل، كما أنار أيضا ماضي شخصية "القائد" الذي أخبرهم عن قرار وقف إطلاق النار آنذاك، فمن خلال هذا الاسترجاع أضاف معلومات أتاحت للقارئ إمكانية فهم الأحداث، كما عكس الوضع السياسي والاجتماعي في هذه الفترة من الزمن.

"كذلك أخبرني في بيته عن يوم الأحد، الأول من جويلية سنة ألف وتسعمائة واثنتين وستين.

وقال:" كان المشهد عظيما، استثنائيا وسرياليا !"

مد بشري كان كاسحا للإجابة عن سؤال واحد بإحدى الكلمتين المدموغتين على ورقتين صغيرتين مربعتين، بثقل تاريخ وزنه قرن واثنان وثلاثون عاما من المجابهة، كلمتان تقطعان أو تمددان العلاقة القهرية بين مهين ومهان: نعم أو لا تريد أن تصبح الجزائر مستقلة !"[2].

إن ما يمكن أن نلحظه من المقطع السابق هو أن الراوي يعود بنا إلى فترة بعيدة بسنوات تتناول مجريات و أحداث من سنة 1962ويستذكر ما قاله له صديقه آنذاك عن مشهد خلده التاريخ ألا وهو يوم التصويت بنعم أو لا، من أجل استقلال الجزائر وتحررها من بطش الاستعمار الغاشم، وكذا استرجاع الماضي البعيد الذي كابدته الجزائر، والمتمثل في قرن واثنان وثلاثون عاما من مجابهة العدو.

[1] الحبيب السائح، أنا وحاييم ، ص 210.

[2] المصدر نفسه ، ص 213.

وفي استرجاع خارجي أخر، والذي سرد فيه احدى لحظات الانتصار والتحرر من بطش المستعمر الفرنسي، والتي شهدها حاييم يومها يقول:" وعند دارة الساعة، شاهد شاحنات نقل الجند الفرنسية تغادر المدينة في اتجاه الشمال، نحو ميناء وهران ومطارها، وبين واحدة وأخرى أكثر من سيارة مدنية تقل عائلات بأكملها من الأقدام السوداء والأوروبيين، وفوق حوامل أمتعتها حقائب وحزم".[1]، والذي لعب من خلاله دور في استكمال الحدث الذي سبقه.

وفي استرجاع خارجي أخر، جاء به السارد ليضيف أحداثا أخرى عن فرحة الاستقلال يقول فيه:" ومن مذياعه تابعنا نشرات الأخبار المفصلة عن الإعلان الرسمي للاستقلال في أكثر من محطة، كما لو أننا أردنا أن نتيقن أخيرا ونهائيا من أن الأمر بات حقيقة. وكان حاييم، على لهفة مثل لهفتنا يدير زر البحث عن المحطات الإذاعية ثم يلتفت إلينا. مشرق الوجه، كلما التقط واحدة؛ فقد استمعنا لصوت القاهرة وباريس وتونس والرباط ولندن وواشنطن والجزائر"[2]، حيث يعود السارد إلى حدث مهم طال انتظاره، والى فرحة "حاييم" التي لم تقل شأنا عن فرحته هو.

مرة أخرى يعود بنا أرسلان إلى نفس الفترة، والى تلك الأيام التي كانت البلاد تشهد أولى تظاهراتها الشعبية منذ إعلان الاستقلال: "كنت قد خرجت في ثيابي المدنية. وقريبا من مدخل دار البلدية، توقفت أشاهد وأسمع، بتأثر، فرح المتجمهرين في الساحة ودارة الساعة...كانوا في ثيابهم التقليدية والأوروبية المختلطة، كبحيرة تطفو فوق سطحها رؤوس حاسرة...وها هي هتافات "تحيا الجزائر" ترتفع وسطهم، فتتموج إلى أبعد نقطة في الشوارع الخمسة...تتخلله زغاريد قوية وحادة..."[3]، فقد جاء هذا الاسترجاع الخارجي كعملية كشف قام بها السارد من خلال العودة بنا

[1] الحبيب السائح،أنا وحاييم ، ص 214.
[2] المصدر نفسه ، ص 217.
[3] المصدر نفسه، ص 219.

إلى الوراء، من أجل توضيح بعض الأحداث التي عاشتها الذات ، وكأنه يسعى من خلاله إلى الابتعاد عن حدود الحاضر، والرجوع بالذاكرة إلى أيام سادها الفرح والابتهاج.

وفي مثال أخر:" في المنحدر، ونحن نقطع الطريق بين معبر السكة والقنطرة الفوقانية، على يميننا ساقية عزيزة المياه على ضفتها الأخرى أجمات وشجيرات من الشوكي بألوانه...، حدثت زليخة بما تذكرته من مغامرتنا، أنا وحاييم، مع ألفونسو بتيست. فضحكت. وقالت:" منذ ذلك الزمن وأنتما متحالفان متواطئان على غيركما !"[1]، فأرسلان هنا قام باستحضار مواقف زمنية، مرتبطة بالذكريات، ولا صلة لها بجوهر الحكاية الأولى.

وفي هذا الاسترجاع أيضا، يعود بنا السارد لأحداث تعود إلى عام 1944م والذي جاء على لسان شخصية زليخة، التي قالت له:«...إنها كانت لا تصدق أني صرت على تلك الجاذبية و المهابة بعد افتراقنا في أخر عطلة صيفية إثر إعلان نتائج مسابقة دخول السنة السادسة في 1944، عام ذاك، توقفت عن الدراسة مضطرة.»[2]، والذي قدم من خلاله معلومات جزئية خاصة عن انقطاع زليخة عن الدراسة لظروف أجبرتها على ذلك فيمكن القول هنا أنه جاء به ليملئ الفجوات التي خلفها الحاضر الروائي وراءه. وفي نفس السياق، ومن نفس الصفحة أيضا قال:« وذكرتني أنها كانت أرتني أكثر من مرة دفتر الاختبار، متفاخرة بأنها تحتل رتبا أحسن من رتب كثير من البنات الأوربيات. "وكنت تتفوقين على كولدا"، قلت مزكيا.

"آه تلك !كنت تقول إنها لن تدرس مرة أخرى في مدرسة يوجد بها أنديجان"»[3].

[1] الحبيب السائح،أنا وحاييم ، ص 233.

[2] المصدر نفسه ، ص 244.

[3] المصدر نفسه، ص 244.

كثيرة هي الاسترجاعات الخارجية التي أوجدت لنفسها ذاتا، ورسمت بكثافتها كيانا داخل جسد الرواية، فقد كان لذاكرة "أرسلان"، بثقل ماضيها الضارب في عمق الثورة التحريرية، حضور آخر كشف، ومن خلال تناثره على صفحات الرواية عن وجه ذلك الزمن، عائدا بنا إلى أيامه النضالية، قائلا:« في الجبل حدثتني زليخة مرة خلال مسافة سير عن صديقة لها قضت مسلولة وعن خالها التهمته الكنكرينة، وجارة شابة ماتت إثر ولادة متعسرة، فيما كان ذهني منصرف إلى العناية الصحية التي يحظى بها في مقابل ذلك، الأقدام السوداء والأوربيون في المدينة وأريافها»[1].

« يالتلك الأيام !كنت أصبح أكثر انشغالا، وأمسي أشد إرهاقا، لما تفرضه مسؤولية تسيير إدارة صار ملحا علي أن أعيد تنظيمها، بعد أن غادرها الموظفون من الأقدام السوداء والأوروبيين غداة نهاية الحرب، فما رجعت إلى البيت، في حي الدرب، إلا متأخرا ومتعبا»[2]، فالسارد في هذا الاسترجاع استحضر تفاصيل عن أيام قضاها بعد الاستقلال مابين مسؤولية إدارة البلدية وبين ما كان يحسه من إرهاق فرضته عليه الأيام لتصبح البلدية أكثر تنظيما لما كانت عليه أيام الحرب وكأنه يقارن بهذا الاسترجاع الخارجي بين ما هو عليه الآن وما كانت عليه أيامه فيما مضى.

وفي استرجاع خارجي أخر، أخذنا إليه السارد وهو قبل بدء الحاضر السردي، جاء فيه:« حادثة المروحة، إن وقعت فعلا كما صورها لنا أستاذ التاريخ، لم تكن مجرد ذريعة لالتهام شمال إفريقيا كله، والسيطرة على إنتاج القمح الذي كانت سوقه بيد محتكرين، من عائلتين يهوديتين قدمتا من إيطاليا واستقرتا في مدينة الجزائر»[3]، بحيث أعاد من خلاله بعض الأحداث الماضية، لتفسيرها

[1] الحبيب السائح،أنا وحاييم ، ص 245.
[2] المصدر نفسه ، ص 250.
[3] المصدر نفسه، ص 255-256.

تفسيرا جديدا في ضوء المواقف المتغيرة، أو لإضفاء معني جديد عليها، فالأحداث بالابتعاد يختلف معناها.

وبالرجوع بالذاكرة إلى الماضي، يتجلى استرجاع خارجي آخر، عاد بنا إلى ماضي إحدى الشخصيات في الرواية، والذي استحضره السارد في قوله:« طبعا !ستثور في ذهني ذكرى الشاب "علي" إذا وقفنا في الميدان الذي ألقى فيه، قبل سبعة أعوام، قنبلة. كان منتصبا، بوجهه الطفولي الصارم...بينما كان جنود من اللفيف الأجنبي يخوضون مباراة»[1].

نجد السارد هنا ذكر جانبا من ماضي شخصية "علي"، الذي استشهد جراء تنفيذه لعمل فدائي ضد المستعمر الفرنسي في إحدى الملاعب والهدف منه أن يعرف القارئ ببطولات هذا الشاب.

في هذا المقطع السردي، يستحضر السارد ذكرى يوم زفافه من زليخة قائلا:« يوم حضر مراسم عقد قراني على زليخة، في دار البلدية نفسها، كان مضى على إعادة فتح صيدليته عام...لقد جرى حفل الفاتحة في بيت السيدة غزالة، وترأسه فقيه من أصدقاء سي النضري...»[2].

ففي هذا المقطع، الذي يدعونا من خلاله السارد بالاعتقاد أن القصة تتراجع نحو الوراء، وقد شغل هذا الاسترجاع مساحة نصية تقدر بسبع صفحات ونصف. نقل فيها الراوي تفاصيل عن حياته الشخصية من ليلة زفافه والذي أعطى من خلالها صورة واضحة متكاملة عن تتويج علاقته التي دامت سنتين مع زليخة بالزواج في أخر المطاف.

وفي ظل تزاحم الاسترجاعات الخارجية في الرواية، أورد السارد استذكارا عاد به إلى سنوات الاستقلال:« إذا كان هناك شيء أسترجعه أكثر من غيره، مما آلمني في السنة الثانية التي تلت

[1] الحبيب السائح،أنا وحاييم ، ص 265-266.

[2] المصدر نفسه ، ص 275.

يوم الاستقلال، أي قبل عامين فقط...فهو صدامي مع ممثل الجهاز السياسي وهو ما كاد يؤدي بي إلى الانهيار في بداية شهر مايو ذاك، ولم أكن قد عرفت خلال مارس و أفريل اللذين سبقاه راحة ولااستراحة»[1].

فما يمكن أن نلحظه هنا من خلال عودة السارد المتواترة والمتكررة إلى أحداث تراوحت بين يوم الاستقلال وما تلاه من سنين، هو أهمية هذه الفترة وتأثيرها القوي في حياته.

وفي هذا المثال أيضا:«...وبذهني تمر طريق وهران أراني عبرها على متن الحافلة مع حاييم قبل أعوام»[2].

تلا هذا الاسترجاع، استرجاع خارجي أخر عادت ذاكرة أرسلان من خلاله إلى أعوام الثانوية:« فاستعدنا من أعوامنا في الثانوية شغفنا بأساتذة طالما انجذبنا إليهم، لألبستهم، وهيئاتهم،...»[3].

استحضر من خلاله لحظات الشغف والإعجاب بأساتذة التعليم الثانوي.

" أذكر أن زليخة، قبل أكثر من سنة ونصف، ما إن دخلت شقتنا هذه التابعة لدار المعلمين في الكميل، حتى وضبتها بما كانت تراه يناسب ذوقها ويمنحني أنا راحة وسكينة »[4]، مثال أخر عن الاسترجاع الخارجي، استحضر فيه السارد إحدى ذكريات الانتقال إلى وهران لاستلام مهامه الجديد كأستاذ، وإقامته في منزل تابع لدار المعلمين هناك.

---

[1] الحبيب السائح،أنا وحاييم ، ص 285.

[2] المصدر نفسه، ص 302.

[3] المصدر نفسه، ص 304.

[4] المصدر نفسه، ص 311.

وهنا أيضا استرجاع خارجي أخر:« أذكر أني كنت لما عدت بالأدوية من صيدلية حاييم إلى الجبل كلمت زليخة عن استشهاد حسيبة»[1].

استرجع فيه أرسلان أيام الجبل والليالي التي قضاها هناك.

كما نجد السارد هنا أيضا، وهو يروي لزليخة عن عمر أحد المنشات الجزائرية أضاف الى النص الروائي استرجاعا خارجيا أخر، قال فيه:« ذكرت لها عنه أنه في يومنا ذاك قد مضى على تدشينه قرن وأحد عشر عاما بالضبط»[2]، وهنا نجده أيضا يستعيد لها تذكارات عن أيام الجامعة رفقة حاييم، وكذا عن الصادق، قائلا:« وأمام بوابة الجامعة استعدت لها تذكارات مما لاقيناه، أنا وحاييم، خلال أشهرنا الأولى وحدثتها عن الصادق»[3]، فهو من خلاله قد سد الفراغات الحكائية، حفظا لانسجام السرد وتماسكه الفنيين.

فلا نكاد نخرج من مقاطع استذكارية، الا ونحن بصدد مقابلة أخرى، والتي تمثلت في ذكريات قد أثارها حاييم في اجتماعه بأرسلان وزليخة في بيتهما:« أثار ذكريات لنا في مدينة سعيدة هناك وأيامنا فيها»[4].

وهنا أيضا، أضافت شخصية "حاييم" إلى الرواية استرجاعا خارجيا أخر، من خلال تذكرة للذة قهوة كان تذوقها فيما مضى، قائلا:« ونكهة هذه القهوة الزكية تذكرني بقهوة أمي زهيرة وخالتي ربيعة»[5].

---

[1] الحبيب السائح،أنا وحاييم ، ص 313.

[2] المصدر نفسه ص 314.

[3] المصدر نفسه، ص 314.

[4] المصدر نفسه، ص 317.

[5] المصدر نفسه، ص 318.

« ولأني منذ الإعلان عن الانقلاب العسكري الذي أطاح برئيس الجمهورية الفتية في التاسع عشر من جوان- قبل أحد عشر شهرا من الآن-لم أعد أقرأ صحيفة واحدة.»[1]، فهذا استرجاع خارجي من بين العديد التي وردت في رواية، جاء به السارد من ضمن ما استحضره من ذكريات أليمة تركت في نفسه أثرا موجعا كلما أعاده الحاضر إليه.

كما نجد استرجاع خارجي أخر، كان من بين الاستذكارات التي حفرت في ذاكرة أرسلان، والمتمثلة في ذكرى الانقلاب العسكري، وكذا استلامه لرسالة من صديقه حاييم، كانا من بين أقسى ما نقشته الذاكرة في ذهنه:« مما أذكره في ساعتي الأخيرة...هما الحدثان المؤلمان: الانقلاب العسكري في العام الماضي...رسالة من حاييم فتحتها بارتباك.»[2]، فقد كان وطأ هذين الحدثين مريرا عليه، وخاصة الخبر الذي استلمه في الرسالة عن مرض صديقه حاييم، بسرطان حاد في الدم، الذكرى التي تأسفه كلما تذكرها.

«...مرت بذهني رسالته التي قرأها على في الحافلة ذات يوم.»[3]، وفي هذا الموقف الاستذكاري، استرجع أرسلان إحدى رسائل صديقه حاييم التي كتبها له من قبل، الذي أشار فيه إلى أن خط يده، ولو رآه من بين سبعين خطا أخر، لميزه من بينهم.

وفي هذا المثال أيضا، أخذت ذاكرة أرسلان به الى الماضي،«...مفتاح الدار- أتذكر برودته في يدي خريف العام الماضي.»[1]، وبما أن رواية "أنا وحاييم" غنية بالاسترجاعات الخارجية، فإننا وبمجرد الانتهاء من استحضار، حتى نجد أنفسنا أمام أخر، فمثلا هنا:

[1] الحبيب السائح، أنا وحاييم، ص 321.
[2] المصدر نفسه، ص 322-323.
[3] المصدر نفسه، ص 325.

« "موريس بيرييه"،...فتذكرت، كما كانت أخبرتني، حاييم واقفا على موريس بيرييه يرتق جرحها في تلك الليلة.»[2]، استحضر أرسلان ما قالته له زليخة في ليلة إصابتها عن شخصية "موريس بيرييه".

وفي هذا الاسترجاع الخارجي:« قبل شهر كنا استضفناه هو وزوجته الممرضة السيدة "دوليس سرفاتي" ردا على استضافتهما إيانا فسعدنا يومها أكثر لما علمنا أنهما تحصلا على الجنسية الجديدة.»[3]، سلط السارد الضوء على شخصية جديدة للتعرف عليها وعلى طبيعة علاقتها بالشخصيات الأخرى بهدف ملء فراغات زمنية، تساعد القارئ على فهم مسار الأحداث.

تتوالى الصفحات، ويتوالى معها الحضور الكثيف للاسترجاعات الخارجية، فمثلا هنا:« إن تجاوزت، ببعض الألم وكثير من الاحتمال، هاجس استرجاع هذا الذي استغرق مني ستة أشهر كاملة، من نهاية عطلة الشتاء إلى عشية عطلة الصيف...»[4].

« هناك تذكرت أن ثلاثة أشهر كانت قد مرت على وصول حاييم الأخير إلى عالم صمته النهائي...»[5]، ففي نفس الصفحة نجد أن الاسترجاع الخارجي حاضر وبقوة.

وفي مشهد أخر استحضر فيه أرسلان لحظات من أيام الثانوية رفقة حاييم، والمتمثل في جملة كتبها له حاييم على كراسه آنذاك قائلا فيها:« "نحن جميعا أبناء أبينا آدم"، تلك الجملة التي كتبها

---

[1] الحبيب السائح،أنا و حاييم ، ص 326.

[2] المصدر نفسه، ص 327.

[3] المصدر نفسه ، ص 327.

[4] المصدر نفسه، ص 329.

[5] المصدر نفسه، ص 329.

لي على كراسي في عامنا الأخير، قبل انطفاء الأنوار في مرقد داخلية ثانوية معسكر، إثر نقاش بيننا...»[1].

بهذا يمكن القول بأن الاسترجاعات على تنوعها واختلافها قد لعبت دورا كبيرا في تشكيل البنية الزمنية، وكذا البناء الروائي العام.

ثالثا: الاستباق في الرواية.

كما أشرنا سابقا، يشكل الاستباق (الاستشراف) الى جانب الاسترجاع تقنية أخرى، يفارق من خلالها السرد مرجعتيه القصصية، ويكسر خطية الزمن، وبعد اطلاعنا على رواية "أنا وحاييم"، اتضح لنا أن الحبيب السائح، قد وظف الاستشرافات بنسبة قليلة، مقارنة بالاسترجاعات التي كان حضورها طاغيا بكثرة في الرواية .

كون أن الرواية قيد الدراسة لم تحتف بكثرة الاستباقات، الا أن هذا لا يعني أنها ليست ذات أهمية في البناء الفني للرواية، بل على العكس لأنها قد قامت بالدور المنوط بها على أحسن وجه، فقد أسهمت في خلق جو الإثارة والتوقع، وكذا حالة من الانتظار لدى القارئ.

وفيما يلي سنحاول تقديم هذه الاستباقات من حيث الدور والوظيفة كما وردت في الرواية.

1- الاستباقات التمهيدية:

بما أن الاستشرافات التمهيدية كما أسلفنا الذكر في الجزء النظري، هي بمثابة:« أحداث أو إشارات أو إيحاءات أولية، يكشف عنها الراوي ليمهد لحدث سيأتي لاحقا»[2]، فإنها بهذه الصفة

[1] الحبيب السائح،أنا وحاييم ، ص 330.

[2] ينظر: مها حسن القصراوي، الزمن في الرواية العربية المعاصرة، ص 211.

للراوي حرية التلميح للمستقبل، من بين هذه الاستباقات التي وردت في رواية "أنا وحاييم" للحبيب السائح، نذكر:

« وكان ذلك إحساسي كيف سيفعل بابن العربي وابن اليهودي.»[1]، فما نلاحظه هنا من خلال هذا السؤال الذي طرحه أرسلان لنفسه، أن الراوي يتهيأ من أجل أن يبدأ بسرد القصة، مستعملا هذا السؤال كتمهيد لما سيأتي فيما بعد من أحداث .

وفي استباق تمهيدي آخر:« رأى نفسه وقد أدركنا، بعد أن أنهكنا فخارت قوانا واستسلمنا، رمان كطريدتين في صندوق سيارته، وعاد بنا فقيدنا ظهرا لظهر، إلى شجرة الإجاص نفسها...»[2]، ففي هذا الاستباق صور السارد ما جال في نفس حاييم، وهو يتخيل ما سيفعله بهما "ألفونسو باتيست" إن أمسك بهما.

ومن أمثلة الاستباقات التي عثرنا عليها في الرواية، السؤال الذي طرحه أرسلان على نفسه في هذا المقطع أيضا:« ولكن لماذا كنت سأشعر بالغثيان لو أن المدير طلب مني أن أخصص له بعض تلك اللحوم بأسمائها»[3]، الذي قام بطرحه، ليلمح الى ما كان سيحدث له في حال ما طلب منه هذا الأمر، والذي لم يحصل في آخر المطاف، أي كان مجرد تخمين من أرسلان .

[1] الحبيب السائح، أنا وحاييم، ص 14.
[2] المصدر نفسه ، ص 14.
[3] المصدر نفسه ، ص 22-23.

وفي هذا المثال أيضا، استباق تمهيدي، لما كان يخطر في بال أرسلان قائلا:« توقعت من مسيوويل أن يمطرني بزخة من نصائحه التربوية التي لا تخلو من تهديد، لا أن يصدر من أنفه هنهنة.[1]

وفي مكان أخر ينطلق الراوي نحو المستقبل، ويرسم لنا صورة محتملة الوقوع، أو متوقعة من المستقبل، وهو يتحدث عن حلم حاييم:« تعرف يا أرسلان؟ حلمي أن أصير يوما طبيبا أو صيدليا

"ستكون أحدهما"، قلت بوثوق»[2].

« لابد من القول إني توقعت، مذ ركبت القطار، أن أجد مدينة الجزائر على مثالية اجتماعية وإنسانية أكثر مما هي عليه مدينتا سعيدة ومعسكر.»[3]، هنا استباق مهد السارد من خلاله إلى حال مدينة الجزائر، قبل أن يطأها، وما كان يتصوره عنها.

كما يوجد استباق تمهيدي أخر، يتوقع من خلاله أرسلان، ما كان سيحصل لو أنه اشتبك مع إحدى الشخصيات في الرواية، قائلا:«لا أدري اليوم أي شيء كان سيسفر عنه الاشتباك بيننا لو أنه وقع.»[4]

[1] الحبيب السائح، أنا وحاييم، ص 28.
[2] المصدر نفسه، ص 46.
[3] المصدر نفسه، ص 73.
[4] المصدر نفسه ، ص 80.

ومن بين الأمثلة أيضا، ما جاء على لسان إحدى شخصيات الرواية وهو يستبق ما سيحصل لمن تردد في الالتحاق بمبادرة النضال، قال فيه:«...سيتعرضون لصعقة التاريخ الآتية، تعيد إليهم وعيهم.»[1]

وهنا أيضا ما جاء على لسان شخصية حسيبة، وهي تسأل: « كم ستكون الطريقة شاقة من أجل أن نتخلص نحن وأهالينا مما نحن فيه من ظلم وقهر ! »[2]، فحسيبة هان تستبق مشقة الطريق التي سيخوضونها من أجل الحرية، ممهدة من خلالها إلى ما سيأتي من أحداث لاحقا، كما جاء على لسانها أيضا:« بالتأكيد، وسيثمر عن تغيير جذري.»[3]

يظهر الاستباق هنا أيضا من خلال الوعد الذي قطعته الجدة لأرسلان يقول:« ووعدتني بطاجين رقاق أخر في عاشوراء القادمة أو المولد النبوي، إن صادف ذلك عودتي لعطلة»[4]، فجاء هذا الاستباق بمثابة توطئة لما سيجري من أحداث.

« فكشفت لي أن عائلتها هي الأخرى أمست تشعر بأن أمرا خطيرا سيقع في البلد لا محالة.»[5]، فالراوي في هذا الاستباق يقطع السرد بالقفز نحو المستقبل كي يعرفنا بالمصير الذي ستؤول إليه البلاد.

---

[1] الحبيب السائح، أنا وحاييم، ص 95.

[2] المصدر نفسه، ص 96.

[3] المصدر نفسه، ص 97.

[4] المصدر نفسه، ص 109.

[5] المصدر نفسه، ص 115.

أما الاستباق التمهيدي التالي، والذي يظهر في قول حاييم:« وستنتهي مقاتلا من أجل القضية الأخرى، وسأجدني متورطا معك.»[1]، أظهر من خلاله الراوي تطلعات الشخصيات في الرواية، تحضيرا منه للقارئ لأحداث آتية

« شكرا ستكون هناك فرصة أخرى لذلك.»[2]، استباق تمهيدي لفرصة لقاء أخرى بين السي النضري و أرسلان.

وفي مثال أخر، شبيه بالذي سبقه، في التحليل،« سنعود معا لذلك في وقت أخر، أو غدا، أو بعد غد.»[3]

وفي مثال أخر:«كان يحدس أني لن أستطيع تجنب الخطر إلى ملا نهاية»[4]، ففي هذا الاستباق أشار إلى الخطر الذي يظل يلاحقه في ظل حرب التحرير.

وهنا نجد توقع أرسلان، بالخطر القادم، بعدما أنذره السي فراجي بحال المدنية: « أدركت أن هناك خبرا ما يترتب.»[5]

وفي نفس الصفحة نجد مثالا أخر:« حاييم صديقي، يبدو أن موعد افتراقنا حان.»[6]، مهد من خلاله أرسلان لوقت لاحق سيفترق فيه هو وحاييم.

[1] الحبيب السائح، أنا وحاييم، ص 128.
[2] المصدر نفسه، ص 136.
[3] المصدر نفسه، ص 138.
[4] المصدر نفسه، ص 166.
[5] المصدر نفسه، ص 167.
[6] المصدر نفسه، ص 167.

نجد في قوله هنا أيضا، ما يشير إلى أن الراوي في الحاضر الروائي، بمعنى أن هذا النموذج استشرافي، جاء فيه:« سنحتاج إليه.[1]»

« لبرهة، تخيلت حاييم في قبضة جلاده بجسده غير الصلب كيف يكون انكساره مؤلما لأول ضربه يتلقاها.»[2]، وفي هذا المثال استباق تمهيدي لم يتحقق في الأخير، لأنه مجرد تخيلات كانت تجول في ذهن أرسلان.

وهنا أيضا:« لدي حدس أنك ستقرأ هذا يوما.»[3]، استشراف لما قد يحصل في وقت لاحق.

« سيكون ذلك ممتعا.»[4]، نجد هنا حاييم يتوقع كيف ستكون اللخطات التي سيقضيانها معا فيما بعد

« سأكون في مواجهة مسؤولية ثقيلة»[5]، هنا توقع أرسلان حمل المسؤولية التي ستكون على عاتقه، فمن خلال هذا الاستباق اتضح لنا الحركة الفاعلة لضمير المتكلم، والتي أدت بدورها عملية الاستشراف .

وهنا أيضا، في هذا المثال:« سنعود إليه كل عطلة لاستعادة رائحته.»[6]، سبق للأحداث، جاءت كوعود قطعها أرسلان لزوجته زليخة.

---

[1] الحبيب السائح،أنا وحاييم ، ص 172.
[2] المصدر نفسه ، ص 188.
[3] المصدر نفسه، ص 198.
[4] المصدر نفسه، ص 261.
[5] المصدر نفسه، ص 302.
[6] المصدر نفسه، ص 303.

وفي مثال أخر، ما ورد على لسان، زليخة وهي تتطلع إلى مستقبل الأيام القادمة التي سوف يكون فيها زوجها أرسلان معلما، تقول:« أراك بكامل قوامك الوسيم، في بدلاتك باللونين الأزرق والأسود والأبيض أيضا...وها قد أطلت بهيئتك الواثقة و وجهك الباسم على طلبتك، فوجدوك أكثر جذبا...وها أنت خلال العشاء تحدثني عن يومك كيف قضيته مع طلبتك...»[1]، مواصلة ما توقعته عن تلك الأيام اللاحقة.

ونجد استباقا تمهيديا أخر:« إحساس بأني سأفقد شيئا ارتبطت به طلية ستة أشهر.»[2]، أشار السارد من خلاله الى حدث لاحق.

وفي هذا المثال أيضا، استشرف أرسلان، بنبرة من الحزن ما كان سيقرأه في الرسالة جاءته من صديقه حاييم، قال:«لأني حدست مسبقا ما كنت سأقرأه فيها.»[3]، وهنا كان لضمير المتكلم نصيب أيضا في منح هذا المقطع طابع الاستشراف للأحداث التي ستأتي لاحقا.

2- الاستباقات الإعلانية:

لقد استهل الحبيب السائح رواية "أنا وحاييم" باستباقين إعلانيين، أخبرنا فيهما بصراحة عما سيحدث في وقت لاحق، والذي قال من خلالهما:« لنهاية عطلتي الوشيكة، وقبل أيام قليلة من استئناف عملي بدار المعلمين....طمأنت زوجتي زليخة النضري على أننا لن نتأخر يوما أخر.»[4]

[1] الحبيب السائح،أنا وحاييم ، ص 307.
[2] المصدر نفسه ، ص 311.
[3] المصدر نفسه، ص 323.
[4] المصدر نفسه، ص 11.

وبتوالي الصفحات تمكنا من رصد استباقات إعلانية أخرى، من بينها:« فما كنت أعرفه، شأني شأن حاييم، وكنا مطمئنين إليه، أن ألفونسو باتيست لن يشكونا مرة أخرى إلى مدير مدرسته جول فيري، لأننا ما كنا سنعود إلها نهائيا، ....بعد أن فزنا في مسابقة الدخول إلى السنة السادسة.»[1]

ففي هذا الاستباق تحقق ما كان يستبقه أرسلان في النهاية.

وفي مثال أخر، أعلن لنا أرسلان من خلاله عن إحدى شخصيات الرواية، بأنه سيكون مرافقه، هو وحاييم في مشوارهما إلى الثانوية التي كانا سيواصلان تعليمهما فيها قال:« وهو الذي سيكون مراسنا.»[2]

ومن المواقف والأحداث الصريحة أيضا، التي وردت في الرواية، نذكر:« تعلن أننا سنكون تحت سلطته.»[3]، وهو إعلان على أن الشخص المرافق لهما، هو من سيكون له حق توجيههما، حتى يصلا إلى الثانوية.

«....قبل أن ألتحق بزليخة في السرير بعد ساعة...»[4]، استبق السارد هنا ما سيفعله بعد ساعة من الزمن، معلنا عنه قبل حدوثه.

« وغد سنصبح رجلين.»[5]، إعلان صريح، وواضح بأنهما سيصبحان رجلين في وقت لاحق.

---

[1] الحبيب السائح،أنا وحاييم ، ص 18.

[2] المصدر نفسه، ص 20.

[3] المصدر نفسه ، ص 21.

[4] المصدر نفسه، ص 26.

[5] المصدر نفسه، ص 37.

« أما أنت فحققت حلمك، فبعد ست سنين ستصبح صيدليا.»[1]، فالاستباق الإعلاني هنا قد أسهم في دفع الأحداث نحو الأمام، وكذا إطلاع القارئ عما سيحدث في المستقبل.

وفي هذا المثال التالي، استباق إعلاني آخر، عما ينتظر أرسلان بعدما يذهب إلى المزرعة، رفقة والده، والذي جاء على لسان جدته قائلة:« هناك ما ينتظرك في المزرعة.»[2]

نجد استباقا صريحا في هذه العبارة أيضا، فيأتي هذا الاستباق من خلال حديث أرسلان مع حاييم على طاولة العشاء:« وغدا تسافر بالقطار إلى هناك.»[3]، أعلن من خلاله عن موعد سفر "كولدا" .

وفي سياق حديثهما، جاء أيضا استباق أخر، صرح فيه إلى أن حاييم سيقوم بمهمة جلي الأواني فيما بعد، قائلا:« نبهني الى أنه سيغسل المواعين.»[4]

– وفي عبارة أخرى:« أنت ستعود إليها لسنتين أخريين.»[5]، أعلن السارد من خلاله عن حتمية وقوع ذلك الحدث لاحقا، وبصراحة، وهو عودة حاييم إلى وهران والتي ستكون لإتمام دراسته .

–«أنا مسافر غدا إلى باريس عبر مرسيليا.»[6]، وفي هذه العبارة أعلنت إحدى شخصيات الرواية الرواية من خلالها عن سفرها وعن وجهتها.

---

[1] الحبيب السائح،أنا وحاييم ، ص 74.

[2] المصدر نفسه، ص 109.

[3] المصدر نفسه، ص 122.

[4] المصدر نفسه، ص 123.

[5] المصدر نفسه ، ص 133.

[6] المصدر نفسه، ص 138.

-« ستشاركني عشائي هذه الليلية.»[1]، استباق لما سيحدث لاحقا.

-« اليوم نتغدى في مطعم فندق الشرق.»[2]، إعلان عن موعد مرتب من قبل، أعلن فيه أنهما سيكونان معا على الغذاء في فندق الشرق .

-« وفي هذا المثال أيضا، إعلان صريح جاء على لسان شخصية "سي فراجي" عندما أخبر أرسلان عن ضيوف سيأتون لزيارته لاحقا.

قال:« سيكونون ثلاثة يمرون عليك هنا في التاسعة.»[3]، فقد أعلن وأفصح له من خلاله عن الضيوف، وحتى عن ساعة قدومهم لزيارته.

- ومن صور الاستشرافات الإعلانية أيضا، ما ورد في قول أرسلان:« بعد أيام سأعود إلى الجامعة.»[4]، حدد من خلاله يوم ذهابه إلى الجامعة بصراحة.

- من بين التطلعات المستقبلية في الرواية، التي أنار من خلالها أحداثا ستحدث مستقبلا، نجد:«...سبق زمانه إلى ما كان سيحصل بعد ثلاثة أعوام.»[5]، فهذا التوقع مؤكد، تحقق فعليا في آخر المطاف.

- ومن بين ما ورد من أمثلة أيضا، نذكر:« نبرمجها لعشية سبت.»[6]، وهو بمثابة إعلان عن وقت محدد سيخرجان فيه إلى ملعب الكرة الجديدة .

---

[1] الحبيب السائح،أنا وحاييم ، ص 140.
[2] المصدر نفسه، ص 146.
[3] المصدر نفسه، ص 169.
[4] المصدر نفسه، ص 201.
[5] المصدر نفسه، ص 218.
[6] المصدر نفسه ، ص 261.

– وبتوالي الأحداث، تتوالى الاستشرافات في الرواية، فمثلا هنا:« وضع فيها ما هو ضروري للسفر في مدينة مرتفعة الرطوبة.»[1]، استشراف حقيقي، جاء بمثابة إعلان عن السفر إلى مدينة وهران.

– كما يوجد استباق إعلاني آخر حول رسالة من أرسلان إلى حاييم أخبره فيها أن سيتوجه إلى سعيدة، رفقة زوجته زليخة، محددا فيها الوقت، وكذا المدة التي سيقضيانها هناك:« أخبرناه في الرسالة أننا سنأتي إلى مدينة سعيدة بداية الأسبوع الثاني من شهر جويلية، لمدة خمسة عشر يوما.»[2]

– وفي رسالة أخرى رد فيها حاييم عليهما استباق إعلاني صرح فيه حاييم عن موعد ذهابه الى وهران لإجراء بعض الفحوصات جاء فيها:« أشعرنا فيها أنه سيأتي الى وهران لإجراء فحوص وتحاليل.»[3]

– كما نجد استباق أخر، حول حالة حاييم، والذي أخبر من خلاله عن موعد لقائه بالطبيب، قائلا:« أنه على موعد صباح الاثنين مع الطبيب متخصص في أمرض الدم.»[4]، فقد حدد فيه الاثنين كموعد لمراجعة الطبيب، وهي حقيقة التزم من خلالها بما صرح به، وجاءت بمثابة إعلان.

–«...ستهتم بالتربية وعلم النفس، تحسبا لنزول ضيفنا الأول في حياتنا.»[5]، استباق إعلاني، حول موضوع حمل زوجة أرسلان زليخة وانتظارها لقدومه إلى الدنيا.

---

[1] الحبيب السائح،أناوحاييم ، ص 312.

[2] المصدر نفسه، ص 315.

[3] المصدر نفسه، ص 315.

[4] المصدر نفسه، ص 319.

[5] المصدر نفسه، ص 322.

– ومن بين ما ورد أيضا من استباقات إعلانية في الصفحات الأخيرة تذكر:«...بأني سأرحل قريبا عن هذه الدنيا...»[1]، جاء هذا الاستباق بمثابة توقع مؤكد من حاييم، عن اقتراب موعد وفاته لأن حالته الصحية المتدهورة، جراء السرطان الحاد للدم، قد أكدت له ذلك.

انطلاق من تقصي الرواية، ومن خلال تحليلنا للمفارقة الزمنية فيها، برزت لنا جملة من النتائج، ألا وهي استناد السارد إلى تقنيتي الاسترجاع والاستباق في رواية "أنا وحاييم" لخلخلة النظام الروائي للأحداث، مجتنبا بهذه التقنية الرتابة، والتي جعلت من النص فنيا إلى حد كبير، حيث تغطي أحداث الماضي مساحة واسعة من الرواية فقد جاء النص المدروس منطويا على الاسترجاعات الخارجية، التي تتناول خطوطا رئيسية في حياة الشخصية كما أنه أبرز من خلال هذه المفارقة الزمنية المتوافرة في الرواية التواتر من جهة الأحداث السياسية، ومن جهة أخرى حرب التحرير ضد المستعمر الفرنسي للجزائر، وكذا جانب آخر لا يقل حساسية عن سابقته، ألا وهو هاجس الهوية الذي عايشه الشعب الجزائري مع المستوطن اليهودي آنذاك .

المبحث الثاني: بنية إيقاع الزمن وتواتره في الرواية

لدراسة السرد يقترح "جنيت" أربع حركات سردية وهي « الوقف، المشهد، والمجل والحذف، كما قام جنيت بتخطيط القيم الزمنية لهذه الحركات الأربعة تخطيطا كافيا جدا عن طريق الصيغ الرياضية التالية التي يدل فيها (زق) على زمن القصة و (زح) على زمن الحكاية الذي ليس إلا زمنا كاذبا أو زمنا عرفيا.

[1] الحبيب السائح، أنا وحاييم، ص 325.

الوقفة: زح = ن ، زق = o، إذن: زح ∞> زق

المشهد: زح = زق

المجمل: زح < زق

الحذف: زح = o ، زق = ن، إذن: زح < ∞ زق[1].

أولا: تقنية تسريع السرد.

1- الخلاصة:

لجأ الروائي إلى توظيف هذه التقنية من العودة إلى الماضي، لتقديم تلخيص موجز، أو إعطاء، معلومات حول ماضي شخصية ما، أو الأحداث التي شاركت فيها

ومن أمثلة التلخيصيات التي وجدناها في رواية "أنا وحاييم" ما يلي:

- ورد سرد لماضي أرسلان وهو يسترجع ذكريات طفولته مع صديقه حاييم وذلك بقوله:« قبل ثمانية وعشرين عاما كي نتوجه معا لأول مرة إلى المدرسة جول فيري»[2]، جاء هذا التلخيص الأحداث في مساحة نصية وسعتها ثمانية صفحات مع تقديم الشخصيات لأول مرة في الرواية دون معالجة تفصيلية مثل: زليخة النضري، حاييم، الجدة ربيعة، زهيرة سماح، ألفونسو باتيست..الخ

[1] ينظر: جيرار جنيت، خطاب الحكاية، ص 109.

[2] الحبيب السائح، أنا وحاييم، ص 11.

ومن الأمثلة أيضا التي وردت فيها تقنية التلخيص قول السارد:« استمرت العناية الفائقة بي لأيام الاحتفال الثلاثة التي كان كل شيء فيها، من الطعام إلى السهر إلى الغناء.»[1]، وهنا لخص أجواء الاحتفال في الأيام الثلاثة في بضع كلمات.

ويقول أرسلان:« لم يؤثر على هامش حياتنا الخاصة أنا وحاييم، السنتان الثانية والثالثة اللتان قضيناهما بإصرار وجهد متزايدين لارتفاع نسق المقاييس الجديدة والندوات المغلقة؛ قد خلنا المسرح والسينما وتجولنا في الغابات القريبة وتنزهنا في الحدائق وسبحنا في البحر خلال أيام الربيع الساخنة...الخ»[2]، هنا قام بسرد سريع الأحداث دون التطرق إلى أدق التفاصيل لما حدث خلال سنتين.

وأيضا يسترجع أهم الذكريات وتلخيصها في بضعة أسطر قائلا:« سنوات الجامعة الأربع ونادي الطلبة وحي القصبة واللقاءات والاجتماعات ولحظة فزعي ليلة هروبي قبل وصول البوليس وكل الذكريات الصغيرة انثالت هي إذا نظرت إلى وجه حسيبة وصال الجميل مضرجا بالدم»[3]

كما قام السرد بوصف أجواء الحرب وتلخيصها في فقرة لا تتجاوز الخمسة أسطر حيث يقول:« في خضم حرب كانت قد ازدادت، في عامها السادس، ضراوة وشدة، مخلفة الموت والخراب والحزن اليومي، في المواجهات الدامية كما في التجاوزات من جانب الجيش الفرنسي بحق المدنين في الأرياف بالتهجير والتقتيل واستعمال الأسلحة المحظورة، ومن جانب ج.ت.و، في الذبح والتنكيل في صفوفها هي وبحق الأهلي لأي اشتباه أو تقاعس أو وشاية»[4].

---

[1] الحبيب السائح، أنا وحاييم، ص 54.

[2] المصدر نفسه، ص 101.

[3] المصدر نفسه، ص 186.

[4] المصدر نفسه ، ص 190.

وما يمكن أن نستكشفه من خلال هذه الأمثلة أن للخلاصة أهداف تتمثل:

- في الإلمام السريع لفترات زمنية طويلة.

- تقديم عام للشخصيات، وبعض الفترات الزمنية من حياتها .

- عرض شامل للمشاهد.

- أغلب التلخيص جاء على شكل استرجاعات تعود إلى الزمن القريب أو البعيد .

- تقديم عام لشخصية جديدة .

2- الحذف:

يعتبر الحذف تقنية زمنية تشترك مع الخلاصة في تسريح وتيرة السرد، إذ يعمل على تجاوز فترات زمنية، والقفر عليها دون الإشارة الى الوقائع التي حدثت فيها.

في رواية "أنا وحاييم" لجأ الحبيب السائح الى هذا النوع من التقنية واستعمل التواريخ والأشهر والفصول ليوهم القارئ بواقعية الأحداث المسرودة

ويمكن حصر أنواع الحذف في الرواية كما يلي:

2-1- الحذف الصريح:

هو الحذف الذي يستخدم فيه إشارات زمنية محددة كما جاء في الرواية حيث قال السارد:

-« بداية سرقة تاريخية لما أثمرته تضحيات سبعة أعوام بالدم سرعان ما تلاها منع للصحافة..وحظر للأحزاب .. بعد ثلاثة أعوام فقط من إعلان الاستقلال.»[1]، يعد هذا الملفوظ السردي حذفا صريحا يتمثل في إسقاط فترة زمنية أولى محددة ب"سبعة أعوام"، وفترة زمنية ثانية محددة ب"ثلاثة أعوام" وقد يكون من دلالات هذا الحذف، ترفع السارد عن ذكر تفاصيل لا تخدم الحدث السردي الرئيسي .

-« خلفها، مغارات تعود إلى ما قبل التاريخ والى أسفلها، مقبرة سيدي الزهار، وغير بعيد، مقام المرابطة لا لة سعيدة، التي حدثني جدتي بأنها عاشت قبل حوالي أربعة قرون.»[2]، يمثل هذا الملفوظ السردي حذفا صريحا لفترة زمنية تقدر بعدة قرون.

-« برغم هول هذه الحرب أشعر بالسعادة لتقاسمنا السنين الأربع التي قضيناها بحلول ومرها في هذه المدينة الغريبة الجميلة والخطيرة.»[3] ومن خلال هذا المقطع الزمني تمكن السارد من تخطي الحديث عن مجريات وأحداث ما يقارب أربع سنوات من الزمن.

-« بسبب سير ليلة كاملة بلا توقف بين الجبال وفي الوديان والأحراش حد الإنهاك»[4]يتمثل هذا الحذف في إسقاط السارد لمدة زمنية قدرها حوالي عشر ساعات.

---

[1] الحبيب السائح، أنا وحاييم، ص 19.

[2] المصدر نفسه ، ص 107.

[3] المصدر نفسه، ص 133.

[4] المصدر نفسه، ص 178.

-« ظل حاييم خلال الأعوام التي استمر فيها القتال ينتظر بثقة أن تقع الواقعة الفاصلة بين مرحلتين وتاريخين.»[1] ، السيئ نفسه بالنسبة لهذا الحذف الصريح الذي تقدر المدة المسقطة فيه بعدة أعوام .

2-2- الحذف الضمني:

أما الحذف الضمني فلم يكثر السارد استعماله في الرواية مقارنة بالحذف الصريح الذي ورد بكثرة .

ومن أمثلة عن الحذف الضمني في الرواية:

«كنت لا أشعر غالبا بالزمن يمر إلا حينما تعلق، على سبورة التنشير، روزنامة عطلة الشتاء أو الربيع أو الصيف.»[2] ،هذا الحذف بالرغم من كونه لا يضمن مؤشرات زمنية فهو ضمني بحت الا أنه باد على مضمونة أنه مرور زمني على فترة الدارسة في الثانوية .

« وها أنا، كمن يستيقظ من حلم، وقد أخذت قلمي، ألاحق بسرعة من به لهفة، خشية التلاشي ما يعبر ذهني من عودتي الأخيرة تلك الى مدينة الجزائر.»[3] فالسارد هنا ينطلق من الزمن الحاضر بعد أن كان يستحضر ذكرياته في الزمن الماضي وفجأة ينقطع به حبل الذاكرة للحظات، ليعود مجددا إلى زمن غير بعيد عن الزمن الذي انطلق منه (الحاضر).

[1] الحبيب السائح، أنا وحاييم، ص 213.
[2] المصدر نفسه ، ص 26.
[3] المصدر نفسه، ص 113.

3-2- الحذف الافتراضي:

هذا النوع من الحذف ينقسم بدوره إلى تقنيين هما: الحذف المطبعي وهو ما يعرف بالبياض المطبعي وتقنية التنقيط .

ومن الأمثلة الدالة على هذا النوع نجد ما جاء في وصية حاييم قبل وفاته:« مكتب الأستاذ العربي سبايح. عقد وصية. أما منا نحن الأستاذ...وأنا السيد حاييم بنميمون المعرف أعلاه أوصي للسيد أرسلان حنيفي..»[1]، ويسمى هذا الحذف بالحذف التنقيطي.

أما النوع الأخر فيسمى بالحذف المطبعي ويقصد به البياض الذي يكون بين الفصول أو الفقرات فالملاحظ في الرواية "أنا وحاييم" والتي تتكون من "ثمانية فصول"، أن السارد ترك بياضات في مواقع وأشكال مختلفة في طولها. ممتدة بين الفصول لتدل على انقطاع مراحل زمنية معينة، أو لفسخ المجال للتفكير في الأحداث السابقة وإعطاء القارئ مجالا لتهيئة نفسه لا ستعاب الأحداث القادمة. وهنا يكون الكاتب قد لجأ إلى البياض في الصفحات من أجل تسريع عملية الحكي.

ثانيا: تقنية تعطيل السرد.

من خلال رواية "أنا وحاييم" نرى أن الحبيب السائح أكثر من استعمال المشهد والوقفة وذلك من أجل تبطئة السرد عن طريق المشاهد الحوارية بين الشخصيات أو وصف بعض الأماكن .

[1] الحبيب السائح، أنا وحاييم، ص 328.

1- المشهد:

هي تقنية مهمة في النص الروائي ويكون المشهد غالبا ذا طابع حواري ومن أمثلة ذلك الحوار الذي كان بين أرسلان وسي فراجي:

- لا يمكن يا سي فراجي !

فحرك رأسه، متقبلا وسألني عن حاييم .

ما رأيك فيه، لأنه صديقك ؟

- لكم أن تطمئنوا إلى السيد حاييم .

ولكننا لا نطمئن إلى علاقته مع كولدا.

- أعرف حاييم جيدا فلا تشكوا في خياراته حين يتعلق الأمر بوطنيته.

- تكفينا شهادتك، إذا.[1]»

كما نجد حوارا أخر جرى بين أرسلان والصادق هجاس وصديقه حاييم فهو مشهد حواري بين جماعة فقد انفلت من قبضة حاييم الذي طوقني مانعا إياي من التقدم.

بيد أن غيره كان أمسك بي من ذراعي بقوة، ناطقا لي بلهجة عربية .

« خليك منو !»

[1] الحبيب السائح، أنا وحاييم، ص 136.

وهزني من مرفقي .

ذاك عنصري ! اعرفه هو وجماعته .

– إنهم يحسبون أنفسهم أرفع منا درجة، قلت بغضب .

« سنرى أنهم لا يفوتون فرصة لاستفزازنا متى أتيح لهم ذلك .»

كراهيتهم التي يكشفون عنها بدائية.

– وكثر من ذلك مدعية"، قال مبتسما.

ومد لي يده فتصافحنا، بحرارة .

«الصادق هجاس كلية الطب.

– أرسلان حنيفي قسم الفلسفة "

وأدرت وجهي .

« وهذا صديقي. حاييم بنميمون »

فتصافحا .

« قسم الصيدلية.

– نحن جيران، إذا »[1]

[1] الحبيب السائح، أنا وحاييم، ص 80–81

أما فيما يخص المونولوج الداخلي أو الحوار الداخلي نجد أن السارد يعطي الحرية للشخصية كي تقوم بالتعبير عن رغباتها ومكوناتها وعن أفكارها .

ومثال ذلك من النص الروائي النقاش الذي دار بين أرسلان وحاييم وحسيبة وصال التي راحت تتحدث بحماس عن نجاح الندوة. ثم تأسفت عن المشاغبة التي حدثت. فقال لها حاييم إنها عادية

« ولكن النقاش كان غنيا ومثيرا »، قلت فاستعرب لي الصادق، بنبرة عتاب .

" لم تشارك !

– لأني كنت لا أملك ما أضيفه، ثم إنني كنت أستفيد.»

وتهربت إلى حسيبة، متظرفا لها.

« كنت في تدخلك أنيقة أيضا ! ».

شكرتني، بابتسامة ندية وقالت: « حرمتنا من سماع وجهة نظرك في مسألة ضرورات التغيير» مضيفة بتلطف:« إنها من صلب اهتماماتك الفلسفية، أليس كذلك ؟

– نويت أن أفعل بعدك لولا أن مسير الندوة أعلق النقاش لانتهاء الوقت المسموح به»، رددت مجاملا.[1]

الملاحظ من مختلف المشاهد التي وردت في الرواية أنها مشاهد حوارية طويلة تخللتها التفاصيل العديدة مما جعلها وسيلة للزيادة في سعة الخطاب، ونلاحظ كذلك ورود كلا نوعي

[1] الحبيب السائح، أنا وحاييم، ص 97.

المشهد (المونولوج، الحوار الخارجي) بنسبة كبيرة فلا يكاد يخلو فصل من فصول الرواية من هذه المقاطع المشهدية.

2- الوقفة الوصفية:

أكثر الحبيب السائح في رواية "أنا وحاييم" من استعمال الوقف، وذلك من خلال وصف الشخصيات والطبيعة والأماكن، لذلك وردت فيها العديد من المقاطع الوصفية التي أسهمت في توقيف زمن الحكاية.

2-1- ففي حالة وصف الشخصيات نجد ما يلي:

يقول السارد:« لهندامي الخريفي العصري، مثلما هو الذوق في نهاية الأربعينيات: كنزة من الكتان سوداء دون أكمام ذات ياقة بشكل V تحتها قميص أبيض وسروال رمادي من الفلانيل وحذاء بني ذي سيور..ولم يكن حاييم مختلفا عني في اللباس إلا بالألوان تقريبا»[1]

فالسارد هنا قدم لنا وصف الملابس والألوان لشخصين رئيسيين هما أرسلان وحاييم والهدف من هذا الوصف تقريب صورة الشخصيات إلى ذهن القارئ .

أيضا يصف شخصية "لالا ربيعة" قائلا:« إنها، كما أسجله في سكون هذه الليلة، لبست أجمل عباءة لها، ووضعت حليها الذهبية الخفيفة في أذنيها وجيدها ومعصميها، وكحلت عينيها، ومضغت المسواك ومشطت شعرها.»[2]

[1] الحبيب السائح، أنا وحاييم، ص 38.

[2] المصدر نفسه، ص 51.

ويقف السارد وقفة تأمل عند شخصية الأم فيقول:« حين وصلنا المزرعة دخلت على أمي في حجرتها فقامت لي في عباءتها الحريرية البيضاء، ممسكة الى الخلف شعرها الأسود بعصابة مذهبة، مشرقة الوجه الأبيض الندي.»[1]

قدم لنا وصف عن لباسها الذي تلبسه ووصف عن لون شعرها الأسود ووجهها الأبيض الندي فهذه التفاصيل تجعلنا نستحضر الشخصية التي هو بصدد الحديث عنها.

2-2- أما فيما يخص وصف الأماكن نجد مايلي :

يصف السارد بيت صديقه حاييم الذي يدخله بعد غياب طويل فيقول:« فكم بدالي، وكأن هذا يحدث لأول مرة، أن الرواق أطول، كما ساعته الحائطية أكبر، مما رأيته عليه عندما كنت أعبره وأنا طفل! وأن غرفة نوم حاييم أوسع، بنافذتها المطلة على الشارع، وكانت ذات ستار أبيض مزين بموتيف الطاووس- إنها الآن مكتبة بكرسي من الخيزران وطاولة من خشب السنديان لا يزال عليها قلم ريشة من نوع باركر وقارورة حبر أسود من ماركة وترمان بينهما مذكرة.»[2]

السارد بوصفه لهذا المكان يجعل القارئ يتعرف عليه من خلال هذا الوصف، بهدف الكشف عن نوعية الشخصية التي تقطن هذا البيت، فالوصف الدقيق والأنيق للأثاث سبيل الى التعرف على صاحبه وعن أوضاعه.

[1] الحبيب السائح، أنا وحاييم، ص 53.

[2] المصدر نفسه، ص 12.

2-3- وصف الفضاء الطبيعي خلال رحلتهما:

« راح حاييم، على هدير محرك الحافلة وتداخل أصوات المسافرين، يصف لي، كأنه رحالة، مرتفعات جيريفيل التي تبدو فيها السماء أقرب إلى الأرض من غيرها في أي مكان أخر، و السهوب ومساحاتها الشاسعة، غير المحدودة بنظر، ذات الغطاء النباتي المدهش الممتد شيحا وحلفاء كأنه محيط أخضر! وقطعان الضأن في السهول لدى غدوها ورواحها مثل كتائب متراصة.»[1]

استعمل السارد هنا التوقف ليصف لنا المناظر الطبيعية في المدينة سعيدة وكأن السارد يقدم استراحة للقارئ من الأحداث إضافة إلى الجانب الجمالي الذي تعلبه في الخطاب الروائي.

ثالثا: التواتر في الرواية.

يعد التواتر تقنية مهمة بالنسبة لكل عمل روائي سردي، حيث أن هناك تكرارت بين الحدث والأحداث المعتمدة، ولهذه التقنية ثلاثة أنماط تتمثل فيما يلي:

1- التواتر المفرد:

في رواية "أنا وحاييم" نجد هيمنة التواتر المفرد على الرواية من بدايتها إلى نهايتها، حيث يلجأ الحبيب السائح إلى استعمال هذا التواتر عندما يتعلق الأمر بحدث ثانوي ليس له دور مهم في تطور الفعل الحكائي ومثال ذلك:« سنة أخرى كانت قد انقضت، لما رجعت إلى الدرب من أربعينية وفاة جدتي التي أقيمت بالسلكة قبل يوم في مزرعتنا، فقد تستبقني الحزن إلى بيتها.»[2]

[1] الحبيب السائح، أنا وحاييم، 40.

[2] المصدر نفسه ، ص 136.

فالسارد يتذكر وفاة جدته التي كانت تربطه بها علاقة مثيرة للتساؤل، نظرا بما تحمله ذاكرة الجدة من تفاصيل بالغة الدقة رغم سنها المتقدم، فالحدث هو وفاة الجدة، تكرر مرة واحدة لأن الوفاة لا تكون إلا مرة واحدة .

2- التواتر المكرر:

في رواية "أنا وحاييم" أكثر الحبيب السائح من استخدام التواتر المكرر، وذلك من خلال العودة الى الوراء لإعادة ذكر ما سبق سرده عن طريق التذكر، أو يعيد ذكر الحدث بأسلوب مغاير، ومثال ذلك تذكره أخر عفرتاتهما، التي ارتعبا خلالها من صرخة ألفونسو باتيست فيهما وهما عالقين بشجرة إجاص في بستان مزرعته، حيث يقول السارد:« ظهرت لنا القنطرة الفوقانية التي سمعنا قريبا منها شخير محرك سيارة راحت كما رأيتها حين التفت التفاته خاطفة تلتهم خلفنا الطريق المتربة مقتربة من حانة سيكورا مثيرة عجاجا بكثافة حنق ألفونسو باتيست وهو يضغط على دواية السرعة بدرجة إمساكه على المقود متخيل وكان ذلك إحساسي كيف سيفعل بابن العربي وابن اليهودية.»[1]

نجد هذه الحادثة في الأصل وقعت مرة واحدة لكن السارد بقي يكررها في أكثر من موضع نظرا لأهميتها في صداقته مع حاييم كما وردت هذه الواقعة في صفحات أخرى نذكر منها:

« فاستغربت، بدهاء ولطافة وحنان، خروجنا في تلك القيلولة؛ فيومها كنا نفذنا خطتنا بالشرب الى جنان ألفونسو باتيست في تلك الساعة بالذات للانتقام منه على طريقتنا ولم نكن نتوقع أنه سيرعبنا كما فعل بسيارته.

[1] الحبيب السائح، أنا وحاييم، ص 14.

"كأن ذلك حصل أمس!، قال حاييم "[1]

فالسارد هنا لم يكتف بإعادة ذكر هذه الحادثة مرة أو مرتين بل أعاد تكرارها مرات عديدة وفي مواضع مختلفة، إذ استوقفتنا من جديد في قوله:« حدثت زليخة بما تذكرته من مغامرتنا، أنا وحاييم، مع ألفونسو باتيست فضحكت وقالت: منذ ذلك الزمن أنتما متحالفان متواطئان على غيركما!، على شمالنا، غير بعيد عن القنطرة الفوقانية باتجاه مقبرة سيدي الزهار جنوبا، كانت حانة سيكورا المطلي خشبهما بالبني مثل حانات الويسترن تبدو مهجورة، فهزتني رعشة لشخير محرك سيارة ألفونسو باتيست خلفنا أنا وحاييم في ذلك الصيف.»[2]

نستطيع القول أن التكرار يلعب دورا هاما في تأكيد الفكرة وجذب انتباه القارئ إليها ليحللها من جديد.

3- التواتر المؤلف:

تتمثل المقاطع السردية الدالة على هذا النوع من السرد في الأمثلة التالية من خلال الرواية:

« ولكثافة دخان السجائر فإننا أخرجنا رأسينا من النافذة أكثر من مرة؛ فلا أحد منا كان قد وضع يوما بين شفتيه سيجارة.»[3]

« منذ بداية سنتي الثانية، صرت كلما عدت من إحدى الندوات المقامة في نادي الطلبة المسلمين، أحدث حاييم عما طرحه هذا العرض أو ذلك.»[4]

---

[1] الحبيب السائح، أنا وحاييم، ص 148.

[2] المصدر نفسه، ص 233.

[3] المصدر نفسه ، ص 63.

[4] المصدر نفسه، ص 89.

« زليخة خلفي الآن في غرفة النوم بين يديها كتاب تقرأ ككل ليلة.»[1]

« في نهاية الأسبوع الأول من صيف تلك السنة، عدت، مرة أخرى، من اجتماع هيئة العمالة إلى البيت متأخرا.»[2]

« أثناء فترة، اختبارات نهاية السنة الدراسية، خصصت جزءا من نهاري ونصف ليلي وعشية السبت ويوم الأحد التصحيحات ورصد النتائج وملئ الكشوف، قبل عقد المجالس التربوية.»[3]

وهنا نستنتج أن الأحداث التي تكررت في الحكاية ذكرها السارد مرة واحدة فقط في الخطاب، وذلك باستعمال أقل عدد ممكن من الألفاظ والصيغ التأليفية.

[1] الحبيب السائح،أنا وحاييم ، ص 176.
[2] المصدر نفسه، ص 295.
[3] المصدر نفسه، ص 321.

خاتمة

الخاتمة:

حاولنا في هذه الدراسة التطبيقية جاهدين الإجابة على الأسئلة التي طرحت نفسها في بداية بحثنا هذا، وقادتنا إلى مجموعة من النتائج تمثلت في الآتي:

– مدى أهمية الزمن في عملية القص، وفي مجال الرواية خاصة. كما اكتشفنا اختلاف زمن القصة مقارنة بزمن الحكاية، بحكم أن زمن القصة خطي، وزمن الخطاب متعدد، لخضوعه لآليات، وتقنيات سردية، تضفي عليه جانبا جماليا وفنيا.

وعليه، فبعد خوضنا في الفضاء الزمني لرواية "أنا وحاييم" ل :الحبيب السائح، نخلص القول بأن هذه الرواية قد رسمت لنفسها بنية زمنية خاصة، توزع على مساحتها زمنان، زمن ماض بسط سطوته عبر نوافذ الذاكرة التي ظل انفتاحها قائما على طول الرواية، من جهة، وزمن حاضر يلتقط بين الحين والأخر أنفاس ذلك الأثر الذي تركه في جسد الحاضر، من جهة أخرى. وعلى هذا الأساس تعامل الروائي مع المفارقات الزمنية التي كانت نتاجا لهذه الانكسارات المتعددة على مستوى الخطية والتي من خلالها استند إلى تقنيتي الاسترجاع والاستباق في الرواية من أجل خلخلة النظام الروائي للأحداث، فقد اجتنب بهذه التقنية الرتابة، وجعل النص فنيا الى حد كبير.

حيث تغطي أحداث الماضي مساحة واسعة من الرواية، وجاء النص المدروس منطويا على الاسترجاعات، والتي تسهم بدور كبير في تشكيل البنية الزمنية في الرواية، فكان لجوءه اليه لغايات فنية وجمالية، ولتوضيح بعض الجوانب أو القضايا الغامضة، أو بعض الشخصيات وطبيعتها، وخاصة لتعرية الواقع، وإزالة الستار عن الحقائق، عبر السرد، فساعد بهذه التقنية على إدراك أبعاد الشخصيات الاجتماعية، والنفسية، والفكرية والسياسية.

كما برزت الكميات الاسترجاعية كثيرا في ملء الثغرات التي تركها السارد خلفه .

أما بالنسبة لتقنية الاستباق، والتي لم تشغل حيزا واسعا من الرواية، فقد كان لها أثر في خلق جو مشحون بالتوقعات والاحتمالات، من خلال تقديمها للشخصيات، وإبراز دورها المواكب لحركة الزمن في الخطاب الروائي، وكذا في تكوين رؤى ومواقف خاصة بالمتلقي .

كما لاحظنا استعمال تقنيات أخرى بدل الاسترجاع والاستباق تدخل ضمن الإيقاع الزمني تتمثل في تقنية "تسريع السرد" بحركتيها (الخلاصة والحذف)؛ جاءت لتلخيص وحذف جزء كبير من الأحداث وحياة الشخصيات، يرى الروائي أنها غير مهمة في المتن الروائي، حيث أنه يمر على فترات زمنية طويلة مرورا سريعا للوصول إلى أخرى هامة والتي تساعد القارئ على التمكن من فهم الأحداث والشخصيات .

وتقنية "تعطيل السرد" وتبطئته بحركتيها (الوقفة الوصفية والمشهد)؛ هذه التقنية تعتمد التبطيئ المفرط لحركة الزمن السردي في الرواية إلى الحد الذي يبدو معه كأن السرد قد توقف عن التنامي مفسحا المجال أمام الراوي لكي يقدم تفاصيل جزئية، وهي بذلك تساهم في تشكيل البنية الزمنية للنص الروائي .

أما فيما يخص التعامل مع علاقات التواتر فقد جسد أنواع التواتر الثلاثة من مفرد، وتكراري، ومؤلف، وهذا الحضور المتنوع رسم إيقاع جمالي للعمل الروائي، يهدف من ذلك إلى إقناع القارئ وادماجة في عالم الرواية.

كما نلاحظ بروز التواتر المكرر كان لافتا، والذي لعب دورا أساسيا في رواية الحدث الواحد عدة مرات، في حين يأتي التواتر المؤلف، ليحتل المرتبة الثانية من خلال حضوره في النص، من خلال وظيفته الاختزالية للأحداث غير المهمة، ليترك مجالا في الأخير للتواتر المفرد.

وفي الأخير يمكن القول أن الرواية تظل نصا مفتوحا على عدة تأويلات وقراءات ودراسات واحتمالات متباينة، ودراستنا للزمن بالتحديد قابلة للتغيير والتحويل لأننا قمنا بها من وجهة نظرنا فحسب .

الملحق

- نبذة عن الكاتب[1]

الحبيب السائح، روائي جزائري من مواليد 1950، بمنطقة سيدي عيسى ولاية معسكر، نشأ في مدينة "سعيدة"، تخرج من جامعة وهران (ليسانس آداب ودراسات ما بعد التخرج).

اشتغل بالتدريس، وساهم في الصحافة الجزائرية والعربية غادر الجزائر سنة 1994، متجها نحو تونس، حيث أقام بها نصف سنة، قبل أن يشد الرحال نحو المغرب الأقصى، ثم عاد بعد ذلك إلى الجزائر ليتفرغ مند سنوات للإبداع الأدبي قصة، ورواية، صدر له عدة أعمال أدبية، منها المجموعات القصصية التالية:"القرار 1979"، "الصعود نحو الأسفل"عام 1981، "الموت بالتقسيط"عام 2003، "البهية تتزين لجلادها" صدرت في سوريا عام 2000.

أما الروايات فصدرت له:"زمن النمرود"، عام 1985، "ذاك الحنين" عام 1997، وترجمت الى الفرنسية في عام 2002، "تماسخت" عن دار القصبة، عام 2002، وفي نفس العام ترجمت أيضا الى الفرنسية، "تلك المحبة"، عام 2003، "مذنبون، لون دمهم في كفي" عن دار الحكمة عام 2009.

[1] جريدة النصر، يومية جزائرية وطنية إخبارية شاملة، 12-09-2010.

ملخص الرواية:

أنا وحاييم، وثيقة إنسانية عن جزائر الثورة، ودعوة الاصطفاف خلف وطن يقبل الجميع، وينبذ الفرقة تناول الكاتب فترة حساسة من تاريخ الجزائر، ما قبل الاستقلال وما بعده بالضبط "1944-1965 "، ليختار سعيدة معسكر وهران والجزائر العاصمة أرضا لأحداثها.

بطلها "أرسلان حنيفي" ابن القايد الوحيد يتتبعه قلم الكاتب من طفولته هو وصديقه حاييم اليهودي بدءا من المدرسة الابتدائية واللعب في جنان الفاكهة بسعيدة...وانتقالهم للثانوية ذات النظام الداخلي الصارم بمعسكر بعد الفوز بالشهادة الابتدائية ليواجها معا كل أنواع التميز وطمس للهوية، التهكم الديني والفوقية الطبقية من أساتذة فرنسيين وتلاميذهم كون الأول جزائريا بربريا مسلما. أما الثاني قلم يشفع تجنيسه وفرنسيته المتقنة من التمييز بحكم أنه من الأقلية اليهودية الفقيرة النازحة من جنوب الجزائر "الأغواط" أرض اللاحضارة بالنسبة للأقدام السوداء. فلم يزدهما ذلك إصرارا وعزيمة ليكونا من المتفوقين حتى حصولهما على البكالوريا، لتبدأ رحلتهما إلى جامعة الجزائر كل في تخصصه: الأول الفلسفة والثاني الصيدلة.

تقرب الصديقان خلالها من أعضاء المنظمة الخاصة فتكونت لديهما فكرة قيام ثورة مسلحة ضد الظلم التاريخي الإنساني في حق الأهالي. والتحق أرسلان بعد تخرجه بصفوف جبهة التحرير أما حاييم فسانده بالدواء والأخبار وكانت صيدليته وجهة المناضلين قبل إحراقها من طرف المستعمر.

حاول الكاتب بكل حضوره في أساليب السرد وتمظهرات القصة الرئيسية في أن ينقل لنا عالم أرسلان وحاييم بشكل لا يمكن أبدا تصنيفه ضمن الأعمال الكلاسيكية التي ترصد واقع الثورة الجزائرية فقط وهو ما يجعل هذه الرواية من النصوص المهمة في الأدب الجزائري .

قائمة المصادر

والمراجع

المصادر والمراجع

أولا: المصادر:

- الحبيب السائح، أنا وحاييم، دار ميم للنشر، الجزائر، ط1، 2018.

ثانيا: المراجع العربية:

- آمنة يوسف، تقنيات السرد في النظرية والتطبيق، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط2، 2015.

- حسن بحراوي، بنية الشكل الروائي، (الفضاء-الزمن-الشخصية)، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1990.

- حميد لحمداني، بنية النص السردي (من منظور النقد الأدبي)، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1991.

- سعيد يقطين، تحليل الخطاب الروائي (الزمن، السرد، التبئير)، المركز الثقافي العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط3، 1997.

- سيزا قاسم، بناء الرواية، دراسته مقارنة في «ثلاثية» نجيب محفوظ، مكتبة الأسرة،2004.

- عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية (نحث في تقنيات السرد)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت ط1، 1998.

- عمر عاشور، البنية السردية عند الطيب صالح، "البنية الزمانية والمكانية في موسم الهجرة الى الشمال"، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، د/ط، 2010.

– عمر عبلان، في مناهج تجليل الخطاب السردي، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق،2008.

– مها حسن القصراوي، الزمن في الرواية العربية المعاصرة، دار فارس للنشر والتوزيع، ط1، 2004.

ثالثا: المراجع المترجمة:

– تزفيطان تودوروف، وآخرون، طرائف تحليل السرد الأدبي (مقولات السرد الأدبي)، تر: الحسين سحبان وفؤاء صفا، منشورات اتحاد كتاب المغرب، الرباط، ط1، 1992.

– جيرار جنيت، خطاب الحكاية (بحث في المنهج)، تر: محمد معتصم وعبد الجليل الأزدي، وعمر حلى، المجلس الأعلى للثقافة، ط2، 1997.

– نظرية المنهج الشكلي (نصوص الشكلانيين الروس)، تر: إبراهيم الخطيب، مؤسسة الأبحاث العربية، بيروت، ط1، 1992.

رابعا: المعاجم والقواميس:

– جيرار برنس، المصطلح السردي (معجم مصطلحات)، تر: عابد خزندار، المجلس الاعلى للثقافة، ط1، 2003.

– جيرالد برنس، قاموس السرديات، تر: السيد إمام، مريت للنشر و المعلومات، القاهرة، ط1، 2003.

– لطيف زيتوني، معجم مصطلحات نقد الرواية، دار النهار للنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2002.

- محمد القاضي، معجم السرديات، دار محمد علي للنشر، تونس، ط1، 2010.

خامسا: المجلات والجرائد:

- جريدة النصر، يومية جزائرية وطنية إخبارية شاملة، 12-09-2010.

الفهرس

الفهرس

إهداء

مقدمة.....(أ-ج)

تمهيد.....04

الفصل الأول: الزمن من منظور جيرار جنيت

المبحث الأول: الترتيب الزمني (المفارقات الزمنية).....09

أولا: الاسترجاع: وظائفه وأنواعه.....13

1- أنواع الاسترجاع.....15

1-1-الاسترجاع الداخلي.....15

1-2- الاسترجاع الخارجي.....16

ثانيا: الاستباق: وظائفه وأنواعه.....17

1- الاستباق التمهيدي.....19

2- الاستباق الإعلاني.....19

المبحث الثاني: المدة.....21

أولا: تسريع السرد.....21

1- الخلاصة.....21

2- الحذف.....22

أ- الحذف الصريح.....22

ب- الحذف الضمني.....23

ج- الحذف الافتراضي.....23

ثانيا: تعطيل السرد.....23

1- المشهد.....23

2- الوقف.....24

المبحث الثالث: التواتر.....25

1- التواتر الانفرادي.....25

2- التواتر التكراري.....25

3- التواتر التأليفي.....26

الفصل الثاني: الزمن في رواية "أنا وحاييم"

المبحث الأول: بنية ترتيب الزمن ومفارقاته في الرواية.....28

أولا: المقاطع السردية.....28

ثانيا: الاسترجاع في الرواية.....37

1- الاسترجاعات الداخلية.....37

2- الاسترجاعات الخارجية.....44

ثالثا: الاستباق في الرواية..... 63

1- الاستباقات التمهيدية.....63

2- الاستباقات الإعلانية.....69

المبحث الثاني: بنية إيقاع الزمن وتواتره في الرواية.....74

أولا: تقنية تسريع السرد.....75

1- الخلاصة.....75

2- الحذف.....77

2-1-الحذف الصريح.....77

2-2- الحذف الضمني.....79

2-3-الحذف الافتراضي.....79

ثانيا: تقنية تعطيل السرد.....80

1- المشهد.....81

2- الوقفة الوصفية.....84

2-1- في حالة وصف الشخصيات.....84

2-2- في حالة وصف الأماكن.....85

2-3- في حالة وصف الفضاء الطبيعي.....86

ثالثا:التواتر في الرواية.....86

1- التواتر المفرد.....86

2- التواتر المكرر.....87

3- التواتر المؤلف.....88

الخاتمة..... 91

الملحق..... 95

قائمة المصادر والمراجع.....98

الفهرس